أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة

حزب البعث العربي الاشتراكي
القيادة القومية
مكتب الثقافة والإعداد الحزبي

القطر العربي الفلسطيني

«دراسة عامة»



سلسلة الوطن العربي

١

حزب البعث العربي الاشتراكي
القيادة القومية
مكتب الثقافة والاعداد الحزبي

أمة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة

—*—

القطر العربي الفلسطيني

« دراسة عامة »

إعداد الرفيق
إبراهيم عبد الكريم

سلسلة الوطن العربي
— ١ —

مقدمة

يحتاج التثقيف الاساسي في حزبنا الى مجموعة من الداسات المبسطة والعامة عن أقطار الوطن الغربي كافة تقدم للحزبيين المعلومات الاولية عن كل قطر من هذه الاقطار في مختلف المجالات التاريخية والجغرافية والبشرية والاقتصادية والسياسية .

فاذا كان من السهل بحامة على قطاع المثقفين في حزبنا ان يغني ثقافته بمعلومات عن كل قطر من الاقطار العربية يستمدها من المصادر الكثيرة والمتنوعة من هذه الاقطار فان القواعد الواسعة في حزبنا تحتاج الى مرجع ثقافي سهل التناول يقدم لهم هذه المعلومات .

وقد اعتمد مكتب الثقافة والاعداد الحزبي في القيادة القومية خطة للتعرف بجميع أقطار الوطن العربي ،نقدم في هذا الكراس الحلقة الاولى منها وتتناول القطر العربي الفلسطيني أعدها مكتب الثقافة والاعداد الحزبي القطري الفلسطيني

وسنحاول تباعا اعداد كراسات مماثلة عن الاقطار العربية الاخرى بحيث تتكامل هذه الكراسات وتشكل مرجعا ثقافيا عاما عن أقطار الوطن العربي عامة .

تشرين الثاني ١٩٨٢

مكتب الثقافة والاعداد الحزبي القومي

• مدخل

البحث في الجوانب المتعلقة بالقطر الفلسطيني ، أقرب الى البحث في السهل المتنع منه الى استخلاص معطيات جديدة من المعلومات الخام .

فنحن هنا أمام مئات بل الاف المجلدات والكتب والدراسات التي ظهرت في العقود الثلاثة الاخيرة .. وأمام مخزن كبير للحقائق والارقام والوقائع .

وانتقاء مايهم جهازنا الحزبي الالمام به ليس بالامر اليسير ، لا سيما بالنسبة لموضوع يعرف عنه رفاقنا الشيء الكثير ، وحاجتهم لان يزودوا أكثر بالمسائل ذات الصلة بقطر تعتبر قضيته محور الصراع العربي ـ الصهيوني .

على ذلك لا يهدف هذا البحث الى الالمام بالشؤون الفلسطينية في كافة تفاصيلها وجزئياتها ، بقدر ما يهدف الى وضع رفاقنا في صورة المعرفة العامة لعدد من الموضوعات التي تناولتها هذه الدراسة والتي تتضمن معطيات جغرافية وتاريخية ، واستعراض الحقبة الممتدة من الانتداب البريطاني الى الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، ثم التعرف على أوضاع

العرب في الوطن المحتــل ، والنهوض الوطني هناك ، واخيرا تتبع مسيرة النضال الفلسطيني بعد النكبة .

ان مثل هذه الموضوعات اذا قدر لها أن تفيد رفاقنــا في التزود بالمعرفــة الاولية لواحد من أقطار الوطن العربي الذي تتكالب عليه قوى الامبريالية والصهيونيــة لاخضاعــه والهيمنة عليه بالكامل ، واذا مكنتهم من التعرف على نضالات الشعب العربي الفلسطيني داخل فلسطين وخارجها ، تكون بذلك قد أدت جل ماهو مطلوب منها أن تؤديــه .

الفصـــل الاول

●● معطيـــات جغرافيـــة

● الموقـــع :

تعد فلسطين من الناحيتين الجغرافية والجيولوجيـــة الجزء الجنوبي من المنطقة التي تضم سورية ولبنان وشرق الاردن .

وتقـــع فلسطين على الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط ، أي في الغــرب مـــن قارة اسيـــا ، بين عـــرض (٣٠،٢٩° ،١٥،٣٣°) شمالا وبين خطي طول(١٥،٣٤°،٤٠،٣٥°) شرقي غرينتش .

وتتوسط فلسطين مفارق الطرق بين اسيا وافريقيـــا وأوربا ، فتصل ما بين البحر المتوسط (المتصل بـــدوره بالمحيط الاطلسي) والبحر الاحمر (المتصل بجزء من المحيط الهندي) .

وهكذا تشكل فلسطين بالنسبة للرقعة الجغرافيـــة العربيـــة جسرا يربط قسميها الشرقي والغربي .. لهذا كان على المتنقل بين هذين القسمين أن يخترق فلسطين مهمـــا كانت جهـــة سيره .

● الحـــدود ★ :

يحد فلسطين من جهة الغرب البحر الابيض المتوسط ويبدأ حدها الشمالي ــ الذي يفصلها عن لبنان ــ من رأس الناقورة ويتجه شرقا فيلتقي بالحد الشرقي عند تل القاضي الى الجنوب من قلعة الصبيبة ، وفي هذا الخط بعض التعرج اذ ينحرف الى الشمال قليلا جنوبي مرجعيون اللبنانيـــة .

أما حدود فلسطين الشرقية فيمثلها خط يبدأ من تل القاضي ــ على مقربة من بانياس ــ ويمتد جنوبا عبر بحـــيرة الحولة فنهر الاردن مخترقا بحيرة طبرية ، ثم يكون مجرى النهر الحد الشرقي مع سورية وشرقي الاردن ، فالبحر الميت حيث يتجه الخط جنوبا قاسما هـــذا البحر الى شطرين ، وبعد ذلك يستمر الخط عبر وادي عربة الى خليج العقبـــة .

ويمثل حدود فلسطين الجنوبيـــة خط يبدأ من خليج العقبة الى رفح ، حيث يفصل هذا الخط فلسطين عن شبه جزيرة سيناء المصرية .

★ تعينت الحدود بين فلسطين من جهة ولبنان وسورية من جهـــة اخرى بموجب الاتفـــاق الفرنسي ــ البريطاني في اواخر عام ١٩٢٠ م،وتم تعديل ذلك في عامي ١٩٢٢ــ١٩٢٣ .

أما الحدود مع شرقي الاردن فقد حددها المنـــدوب السامي البريطاني لفلسطين وشرقي الاردن في أيلول ١٩٢٢م .

فيما يلي جدول بأطوال الشواطىء والحدود البرية لفلسطين:

الشواطىء والبلاد المجاورة لفلسطين	طول الحدود بالكيلومتر	النسبة المئوية من طول الحدود العام
البحر الابيض المتوسط	٢٢٤	٢٣٪
لبنان	٧٥	٧ر٧٪
سورية	٧٤	٧ر٦٪
الاردن	٣٦٠	٣٧٪
سيناء وخليج العقبة	٢٤٠	٢٤ر٧٪

● المساحة :

تبلغ مساحة فلسطين حوالي ٢٧٠٠٩ كم٢ (أو ١٠٤٢٩ ميلا مربعا) وهي مستطيلة الشكل تقريبا ، يبلغ طولها من الشمال الى الجنوب نحو ٤٣٠ كم ، أما عرضها فيتراوح في الشمال بين ٥١ كم و ٧٠ كم ، وفي الوسط بين ٧٢ كم و ٩٥ كم ، في حين يتسع العرض في الجنوب حتى يصل نحو ١١٧ كم ــ الى الشمال من صحراء النقب ــ .

● المناطق الطبيعية :

مع أن مساحة فلسطين صغيرة نسبيا ، وذات تكوين بسيط ، الا أنه يمكن تقسيمها من الوجهة الطبيعية الى أربع مناطق تتميز كل منها عن الاخرى في نظام سطحها ومناخها ونباتها ، وهي على النحو التالي :

اسم المنطقة	النسبة المئوية الى المساحة العامة
منطقة السهول	٪ ١٧
المنطقة الجبلية	٪ ٢٨
منطقة وادي الغور	٪ ٥
منطقة النقب	٪ ٥٠

★ أولا ، منطقة السهول :

تتألف هذه المنطقة من السهول الساحلية والسهول الداخلية ، ويمكن دراسة كل منها كما يلي :

آ ــ السهول الساحلية :

تمتد بمحاذاة الحدود الغربية لفلسطين وبطول يتجاوز ٢٥٠ كم من رأس الناقورة (على الحدود الفلسطينية ــ اللبنانية) شمالا وانتهاء بأقصى جنوب غزة (على الحدود الفلسطينية ــ المصرية) جنوبا .

ويندر وجود انحناء أو تعرج كبير على امتداد خط الساحل الطويل،باستثناء بروز الكرمل ★ الذي يكون مايشبه الخليج الكبير ، الوحيد ، في فلسطين تتحدد الاطراف الداخلية لهذه السهول ، في امتدادها شرقا الى البصة وعمقه وكفريا

★ جبل الكرمل يقسم السهل الساحلي الى قسمين غير متساويين احدهما شمالي وهو سهل عكا ، والاخر جنوبي ويأخذ اسماء متعددة منها سارونة وفلسطين .

سيف وشفاعمرو ، ثم تنتهي بحيفا حيث لا يزيد اتساعها عن ٥ كم ويعرف هذا بسهل عكا الذي يحده جبل الكرمل ، وعند رأس الكرمل تضيق هذه السهول بحيث لايتجاوز عرضها ٢٠٠ متر ، ثم تأخذ في الاتساع تدريجيا فتصل الى ١٧ كم ما بين طولكرم وخط الساحل و ٢٠ كم في الجنوب .

تبلغ مساحة هذه السهول حوالي ٣٨٠٠ كم٢ ، ويبلغ أقصى عرض لها عند غزة ، أما ارتفاعها فوق مستوى سطح البحر فيتراوح بين ٠٠ و ٢٠٠ متر .

يغلب على تربة هذه السهول الطابع الكلسي المختلط بالطمي ، وتتفاوت المساحة التي تغطيها الاشجار بين قسم وآخر من هذه السهول . فبينما تسود الاشجار سهل سارونة وتنتج أشهر أنواع البرتقال في العالم ، نرى سهل سارونة وفلسطين أرضا مكشوفة قليلة الاشجار ــ بسبب قلة الامطار نسبيا ــ .

يعتبر الساحل الفلسطيني والسهول المحاذية له من أشهر الممرات الحربية في التاريخ ، وقد أثار موقع هذه السهول كنقطة اتصال بين المراكز الحضارية أطماع الغاصبين منذ القدم .. وبعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين نشط الصهاينة في اقامة عددمن المستعمرات والمدن فيها ، اكبرها تل ابيب التي كانت حتى عام ١٩١٠ م ضاحية من ضواحي يافا لايزيد عدد سكانها عن ٥٠٠ نسمة .

ب ــ السهول الداخلية :

يمثل سهل مرج ابن عامر ★ أهم هذه السهول ، ويشكل

حلقة اتصال وطريقا هاما بين السهول الساحلية في الغرب وبين غور بيسان ووادي الاردن في الشرق .

يأخذ هذا السهل شكل مثلث تقريبا تمتد قاعدته بين جنين جنوبا وبين جبل الطور ـ شرق الناصرة ـ شمالا ، أما رأسه فيصل الى الطرف الجنوبي ـ الشرقي لسهل عكا ، وفي الجهة الوسطى يتصل بطريق يربط ما بين العفولة من جهة وبين سهل سارونة من جهة البحر ، وتبلغ مساحته العامة حوالي ٤٠٠ كم٢ .

★ ثانيا ، المنطقة الجبلية :

الى الشرق من السهول الساحلية ترتفع الارض ارتفاعا شبه رأسي ، وتنبسط بعد ذلك لتتوضح معالم هضبة تتميز في نوع تربتها ومناخها ونباتها عن السهل الساحلي .. تمتد هذه الهضبة في وسط البلاد كعامود فقري ، وتشغل نحو ثلثي عرض فلسطين ، ومن الناحية التاريخية تقع في هذه المنطقة معظم الاماكن المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود (القدس والخليل وبيت لحم ونابلس وصفد) **لاتتصف** هذه الهضبة بتماثل في طبيعة أرضها ، ففي حين يمثل قسمها الجنوبي (بالقرب من الخليل) أعلى الاجزاء كلها ومستوى السطح ، نجد القسم الاوسط منها يأخذ شكل أرض متموجة

★ يقع سهل مرج ابن عامر على وجه التقريب بين ضواحي حيفا والناصرة وجنين ، وله امتداد شرقي ـ جنوبي نحو بيسان يعرف باسم وادي عين جالوت أو سهل يزراعيل .

تكون نهايتها حافة الانكسار الذي يحدد بدء السهول الساحلية المقابلة لسهل مرج ابن عامرو الممتدة في نفس الاتجاه . أما في نهايـة الهضبة فتقوم هضبـة الجليل التي تتميز بأنها أوفر مناطق فلسطين مطرا وأكثرها اعتدالا .

وعلى ضوء هذا الاختلاف في طبيعة أجزاء هذه الهضبة يمكن أن ندرس ثلاث مجموعات من المنطقة الجبلية في فلسطين هي :

آ ــ جبال الجليل :

تشبه هذه الجبال كتلة جبلية مقطعها مربع الشكـل ، يمتد ضلعها حوالي ٤٠ كيلو مترا وهي امتداد لسلسلة جبال لبنان الغربيـة ، في فلسطين .

تتصل هذه الجبال شمالا بجبل عامل ، وتكاد تكـون الصفات الطبيعيـة للمنطقتين واحدة . .

يدعى القسم الشمالي من هذه الجبال بالجليل الاعلى ، وهو هضبة جبليـة اكثر ارتفاعا من قسمها الجنوبي الـذي يدعى بالجليل الاسفل والمكون من مجموعة تلال تمتـد مـن الشرق الى الغرب .

يبلغ معدل ارتفاع جبال الجليل بين ٣٠٠ ــ ٦٠٠ متر ، الا انالارتفاعات قد تصل الىأكثر من ١٠٠٠ متر كما هو الحال في الجزء الشمالي من الجليل الاسفل ، فيتجاوز ارتفاع قمة جبل الجرمق ــ شمال غرب مدينة صفد ــ ١٢٠٠ متر .

تكثر في منطقة جبال الجليل ، الينابيع ، مما يجعـل

مياهها وفيرة على مدار السنة ، وأشجارها دائمة الخضرة ، ويقدر ان ١٣ ٪ مــن مساحتها مغطاة بالاشجار والاحراش الى جانب حقول القمح . وقد جعلت الاودية هذه المنطقــة منطقة مرور من الطراز الاول حيث هيأت الطرق الطبيعيــة عبرها في كل اتجاه .

ب ـ جبال السامرة ((مع جبل الكرمل)) :

تتشكل هذه الجبال من مجموعة كتل جبلية تغاير في اتجاهها الاتجاه العام لجبال فلسطين يحاذي هذه الجبال مرج ابن عامر شمالا ، وتمتــد الى جنوب مدينــة نابلس ، واذا ما أضيف اليها جبل الكرمل ـ الذي يبدأ من حيفا باتجاه الجنوب الشرقي ويصل الى مجدو ثم يتصل بها حول جنين ـ كانت الرقعة التي تشغلها قريبة من تلك التي تشغلها مرتفعات الجليــل .

تطل هذه الجبال في الشرق على غور الاردن ، وهذه الجبال بشكل عام أقل ارتفاعا من جبال الجليل ، وليس فيها الاجبل واحد يقارب ارتفاعه الكيلو متر هو جبل جرزيم قرب نابلس . أما جبل الكرمل فيبلغ أعلى ارتفاع فيه ـ وهو القمة المشرفة على حيفا ـ نحو ٥٥٠ مترا .

حـ ـ جبال الخليل ((والقدس)) :

تتداخل مع جبال السامرة ، وتقع الى الجنوب مــن

من نابلس .. تمتد هذه الجبال الى الجنوب من مدينة الخليل ويتراوح القسم الاكبر منها بين ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ متر .

في طرفها الجنوبي تبدأ جبال الخليل من منطقة النقب في الجنوب حيث يفصلها بئر السبع أما طرفها الشمالي فينتهي بانكسار يمتد من الغرب الى الشرق ينشأ عنه هبوط في الارض بنفس الاتجاه يشغله مرج ابن عامر ، وهي منطقة مقطعة كثيرة الوديان ، وتأخذ هذه الوديان شكل الخانق العميق وابرزها وادي الصرار الذي يصل بين (المنطقة الساحلية وبين القدس) .

هذا وقد حددت طبيعة التضاريس طرق الانتقال من الشمال الى الجنوب مع خط تقسيم المياه ، ومن الشرق الى الغرب عبر الاودية التي تصل الهضبة بالساحل ، الامر الذي يمكن من تفسير وجود المدن الرئيسة هناك كالخليل وبيت لحم والقدس ونابلس .

وتجدر الاشارة في هذا السياق الى أن هذه المدن لعبت دورا مزدوجا في حياة البلاد ، فكانت أسواقا يقصدها سكان الصحراء ، وفي نفس الوقت كانت حصونا منيعة في وجه المغيرين عليها .. فمدينة الخليل تتحكم في الطريق الجنوبي كما تتحكم مدينة القدس في الطريق الشمالي ، ومما يساعدها في ذلك بناء كل منهما على ربوة عالية تشرف على ما يجاورها .

بعد هذا العرض لسلاسل الجبال في فلسطين ، نذكر فيما يلي أهم أسماء قممها وارتفاعها عن سطح البحر :

الجبال والسلاسل	القمم	الارتفاع عن سطح البحر بالامتار
جبال الجليل	جبل الجرمق جبل كنعان جبل حيدر	١٢٠٨ ٩٣٦ ١٠٤٧
جبال السامرة «نابلس والكرمل»	جبل عيبال جبل الجرزيم جبل تل العاصور	٩٤٠ ٨٨١ ١٠١٦
جبال الخليل والقدس	جبل النبي صموئيل خربة خلة بطرخ جبل حلجول جبل رأس الرامان	٨٨٥ ١٢٢٠ ١٠١٨ ١٠٣٥

★ ثالثاً ـ منطقة النقب :

عبارة عن رقعة بشكل مثلث تقريباً ، يقع رأسه عند خليج العقبة ، وتمتد قاعدته بمحاذاة المنحدرات الجنوبية لمرتفعات الخليل ، شاملة الارض الواقعة بين قضاءي غزة والخليل وشبه جزيرة سيناء والبحر الميت .

حدود هذه الرقعة من جهة الغرب سيناء ، ومن جهة الشرق وادي عربة . تعد منطقة النقب احدى المناطق الاستراتيجية الهامة ، أذ تشكل حلقة الوصل والمعبر البري الوحيد بين شمال شبه الجزيرة العربية وبين سيناء ، على

ان هذه المنطقة لا تعتبر اقليماً قائماً بذاته ، بل هي جزء من وحدة فيزيوغرافية (طبيعية) تضم سيناء وفلسطين ، كما انها جزء من اقليم أوسع لا يقتصر على هذه الوحدة ، وانما يمتد شرقاً عبر وادي عربة الى شمال شبه الجزيرة العربية وحتى مشارف الفرات .

تتكون منطقة النقب بدورها من ثلاثة أقسام فرعية هي : النقب الساحلي ، والسهل الساحلي ، والنقب الجنوبي .. وتعتبر مدينة بئر السبع المدينة الوحيدة في هذه المنطقة ويسكنها البدو والرحل وشبه الرحل ، وبعد الاحتلال الصهيوني أقام العدو في هذه المنطقة بعض المزارع والتجمعات الصغيرة ، كما شيد فيها مراكز للابحاث والتجارب العلمية والعسكرية .

لقد كانت بئر السبع ممراً تجارياً هاماً مع العالم المتمدن القديم ، كما كانت مهد انطلاقة النبي ابراهيم « النشطة » الدينية ، ومسقط رأس ابنه البكر اسماعيل – من هاجر – جد العرب العدنانية الذي ربط بين بلاده فلسطين وبين النبي العربي والمسلمين بصلة خالدة ، اذ قام مع أبيه ببناء الكعبة المشرفة في مكة .

★ رابعاً – منطقة وادي الغور :

تقع شرقي فلسطين ويخترقها نهر الاردن مع بحيراته ، ويمكن اعتبار هذه المنطقة جزءاً من الانخفاض الكبير الذي يبدأ من جبال طوروس في آسيا الصغرى ويستمر جنوباً

ماراً بسورية والبحر الميت وخليج العقبة لينتهي في بحيرة فيكتوريا بأواسط أفريقيا .

يبدأ الغور في الشمال من الكتلة الصخرية ـ الكلسية والبازلتية ـ التي تفصله عن الغور السوري وينخفض من جنوب الكتلة انخفاضاً سريعاً مشكلا حوضا تتجمع فيه المياه هو بحيرة الحولة ★ ، ثم يمتد حسب خط بحيرة طبرية البحر الميت ـ خليج العقبة . ويبلغ طوله الاجمالي حوالي ٤٠٠ كم .

يمكن تقسيم الغور تضاريسياً الى عدة أقسام منها :

آ ـ سهل الحولة : تحاذيه من جهة الغرب جبال الجليل ، وشمالا تحده سفوح جبل الشيخ ولبنان ، وشرقا هضبة الجولان، ويصل جنوباً حتى منطقة الجاعونة (شمال صفد) .

يبلغ امتداد سهل الحولة طولانياً من الشمال الى الجنوب حوالي ٣٠ كم ، ويتراوح امتداده العرضاني بين ٣ و ٧ كم ، ويصل ارتفاعه عن سطح البحر الى ٢٥٠ متراً .

ب ـ وادي الاردن : يمتد من جنوب بحيرة الحولة حتى شمال البحر الميت ، يبدأ في ارتفاع يقارب ارتفاع مدينة صفد ، وينخفض الى ٢٠٨ أمتار ، ثم ينحدر بشدة ليصل الى ٣٩٢ مترا تحت مستوى سطح البحر ، وهو أشد انخفاض أرض في العالم كله .. كما يعتبر وادي الاردن أكثر بقاع الحفرة

★ قام الصهاينة قبل عام ١٩٥٧ بتجفيف هذه البحيرة للاستفادة من أرضها في الزراعة ، وتبلغ مساحتها حوالي ١٤كم٢، ومقدار انخفاضها عن سطح البحر حوالي ٢٠٠ متر .

الانهدامية اتساعاً في فلسطين ، اذ يصل عرض بعض أجزائه الى ٢٢ كم شمال البحر الميت . يضم وادي الاردن أربعة سهول رئيسية هي : سهل جنزار (يمتد من غرب بحيرة طبرية الى شمال المجدل) وسهل الداكانية (غربي مدينة سمخ) وسهل بيسان وسهل أريحا .

ج ـ المنطقة الواقعة جنوب البحر الميت :

من المألوف أن يعتبر وادي عربة الواقع الى الجنوب من البحر الميت جزءاً من انخفاض الاردن أو غوره . وفي هذه المنطقة يتغير شكل الانهدام فيأخذ بالارتفاع في وادي عربة متجهاً نحو الجنوب . وترفده أودية من النقب ، الى ان يصل في منتصف المسافة بين البحر الميت والعقبة الى ٢٥٠ متراً فوق مستوى سطح البحر ، ثم يعود للانحدار باتجاه العقبة .

● المناخ :

تقع فلسطين في منطقة انتقالية بين مناخ البحر الابيض المتوسط والمناخ الصحراوي ، لهذا يعتبر مناخها نموذجا لمناخ البحر المتوسط بكمية أمطاره ، وصورة مجسدة في الوقت ذاته للمناخ الصحراوي بحرارته .. ففلسطين تتأثر اذن بالمؤثرات البحرية والصحراوية على حد سواء ويتوضح هذا التأثر من خلال ما يلي :

آ ـ تسود في فلسطين سلسلة من الجبال تمتد من الشمال الى الجنوب محاذية للسهل الساحلي .

ب ـ الى الجنوب والجنوب الغربي ـ وهما طريق الرياح الغربية التي تحمل الامطار في الشتاء ـ تقع صحارى

واسعة بدءاً بصحراء سيناء ومرورا بمصر الى شمال افريقية

ج ـ مجاورة فلسطين في الجهـة الشرقيـة لجزء من الصحراء السورية .

هذه العوامل بمجموعها توضح طبيعة توزع الامطار والحرارة .. ففي حين نرى ان الجزء الجنوبي من فلسطين يتمتع بمعدلات حرارة أقل من تلك التي يتمتع بها الجزء الشمالي ، نجد ايضا ان سهل عكا والجزء الشمالي من السهل الساحلي يتلقى من الامطار ما بين ٥٠ و ١٠٠ سم في السنة ، أما منطقة غزة فتتراوح أمطارها بين ٢٥ و ٣٧سم سنوياً فقط .

● الحياة النباتية ، والتربة :

على الرغم من صغر مساحة فلسطين ، الا انها تمتلك حياة نباتية غنية الى حد ما ، أي ان النباتات المنتشرة فيها تتنوع الى حد يثير الاهتمام ، ففيها ما يقارب من ٣٠٠ نوع نباتي ، وتؤثر في هذا التنوع جملة عوامل أهمها :

ـ نمو وازدهار نسبة كبيرة من النباتات في فصل الشتاء .

ـ تتم دورة النباتات السنوية خلال فترة زمنية قصيرة .

ـ وجود أنواع كثيرة من النباتات الصغيرة في الفسح التي تكون بين الاشجار وبين النباتات الكبيرة .

هذا ويتفق تقسيم النبات والتربة مع التقسيم التضاريس الوارد سابقا في فقرة « المناطق الطبيعية » ..

فتربة السهل الساحلي رملية أو مختلطة بالطمي ، وتربة السهول الداخلية من النوع الثقيل المكون من ترسبات الانهاروالجداول المنحدرة اليها ، تتخللهـا بعض التـرب البركانية .. بينما تسود الترب الخفيفة منطقة المرتفـات وهي كلسية في بعضها وبازلتية في بعضها الآخر .

أما منطقة الغور فتتكون التربة فيها من رسوبات نهرية وبحرية ذات خصوبة عالية .. وفي المنطقة الممتدة بين الحولة ومصب نهر الاردن في البحر الميت تسود التربة الطينية في القسم الشمالي منها وتسود التربـة الكلسية في الوسط والجنوب . وأخيراً تتألف تربة النقب قرب الساحل مـن طبقة رملية سطحية وطبقة تحتها مكونة من تربة تحتفظ بالمياه ، ومثل ذلك أيضا في الهضبة النقبية .

● البحيرات والانهار :

١ ـ فيما يلي جدول بالبحيرات الرئيسية في فلسطين ، مع مواقعها الجغرافية ، ومساحاتها .

اسم البحيرة	موقعها الجغرافي	المساحة بالكيلو متر مربع
ـ البحر الميت «بحيرة لـوط »	جنوب شرق فلسطين	١٠٥٠ كم٢
ـ بحيرة طبرية	شرق مدينة طبرية	١٦٥ كم٢
ـ بحيرة الحولة	قرب مدينة بانياس	١٤ كم٢

٢ — أهم الانهار الواقعة ضمن الاراضي الفلسطينية :

اسم النهر	المنبـع	المصب	طـول النهر الاجمالي /كم	طول النهر في الارض الفلسطينية
نهر الاردن	جبل الشيخ	البحر الميت	٢٥٢	١٤٩
نهر العوجاء	رأس العين	البحرالمتوسط	٢٦	٢٦
نهر المقطـع	مرج ابن عامر	البحرالمتوسط	١٣	١٣
نهر النعامين	تل الكردانا	البحرالمتوسط	٨	٨
نهر الحاصباني	جبل الشيخ	نهر الاردن	٣٩	٣٩
نهر اليرموك	سورية	نهر الاردن	٥٧	١٧

● **المدن الرئيسية :**

١ ـ الساحلية : عكا ، حيفا ، يافا ، غزة .

٢ ـ الداخلية : القدس (عاصمة فلسطين) تقع في وسط البلاد ، اللد والرملة وطولكرم وقلقيليـة والمجدل وخان يونس والفالوجة في السهل الساحلي ، نابلس والناصرة وصفدوالخليل ورام الله والبيرة وبيت لحم وبيت جالاوجنين

في المنطقة الجبلية . طبريا وبيسان واريحا في منطقة الاغوار

.. مما يذكر ان فلسطين عرفت المدن في أزمنة موغلة في القدم . والمدن التي استمرت أهميتها على مر العصور على ثلاثة أنواع هي .

ـ المدن ذات المكانة الدينية أو الروحية ـ القدس ، بيت لحم ، الناصرة ـ .

ـ المدن اللازمة أصلا للدفاع عن منطقة ما ، أو الواقعة على مدخل رئيسي لطريق مهم ـ مثل بيسان .

ـ مدن الواحات أو الشبيهة بذلك .

ـ مدن الموانىء التي كانت دوما مركزا لاستقبال السفن .

الفصـــل الثـــاني

نظـــرة تاريخيـــة

يعتبر تاريخ فلسطين جزءاً لا يتجزأ من تاريخ سورية الطبيعية والمنطقة العربية عموما ..

في عصور ما قبل التاريخ ـ أي الازمنة التي سبقت ظهور القراءة والكتابة ـ استوطن الانسان فلسطين (منذ اكثر من ٢٠٠ ألف سنة) . ويجمع الباحثون على ان الارض الفلسطينية من أقدم مواطن الانسان ، وتعـد المهد الاول للانسان العاقل .

ومن المتفق عليه أيضا انه في أواخر الالف السابع أو أوائل الالف السادس قبل الميلاد كان يسكن فلسطين شعب من « جنس البحر الابيض المتوسط » .. وفي الالف الخامس تجلت صفات جسدية متشابهة بين سكان فلسطين وسورية ولبنان ، مما يدل على تمازج كبير بين السكان في هـــذه المناطق .

قام انسان فلسطين هذا ببناء أول مدينة في التاريخ ، هي مدينة أريحا ، التي يرجح انهـا كانت على بعد ٢ كم

شمالي المدينة الحالية ★ ، وجرى استخدام الحجارة والطين في بناء بيوتها ، وكان ذلك في حوالي الالف السابع ق.م .

كما عرف فيما بعد ان ثمة مدينة أخرى بنيت في حوالي الالف السادس ق.م أي قبل العصر المعدني ★★ ، هي مدينة جازر الواقعة على منتصف طريق يافا ــ القدس القديمة .

في هذه الاثناء كان يقيم في شبه الجزيرة العربية شعب سامي ، وقد شهدت هذه المنطقة تزايدا في سوءالظروف الطبيعية القاهرة ، وكانت المناطق الواقعة الى الشرق منها ــ الهلال الخصيب والعراق ــ تغري بظروفها ومواردها الطبيعية بالتوجه نحوها .. لهذا يمكن القول ان جزيرة العرب كانت بمثابة مركز طرد سكاني في حين كانت فلسطين والهلال الخصيب مركز جذب سكاني .

في نحو ٣٠٠٠ ق.م أخذت جموع سامية تهاجر من شبه الجزيرة العربية ، ويمكن اقتفاء أثرها على النحو التالي :

ــ الكنعانيون ، اتجهوا نحو فلسطين .

★ تقع أريحا الآن على بعد ٥ كم شمال البحر الميت و ٣٧ كم من الشمال الشرقي للقدس .

★★ هو آخر عصر من عصور ما قبل التاريخ ، وتقسم هذه العصور التي استمدت تسميتها من اسم المادة التي صنع الانسان منها أدواته ، الى : العصر الحجري القديم ويعود تاريخه الى اكثر من ١٥٠ الف سنة ، الحجري المتوسط (١٢ ألف ق.م) ، الحجري الحديث (٦٠٠٠ ق.م) ، المعدني (٤٠٠٠ ق.م) ما بعد المعدني تبدأ العصور التاريخية في فلسطين حوالي ٣٠٠٠ ق.م .

ـ الفينيقيون ، سكنوا لبنان وجزءا من الساحل السوري .

ـ العموريون ، أقاموا في سورية الداخلية .

أضخم موجة هجرة لهذه الجموع كانت نحو ۲٥٠٠ ق.م ، وخلال هذه الفترة تقريبا أخذ المصريون القدماء يهتمون بفلسطين ، حربا وسلما . وتذكر المصادر ان فلسطين تبادلت تجاريا مع مصر القديمة ، فالزيت الفلسطيني كان ينقل الى مصر والمصنوعات المصرية تنقل الى فلسطين .. وقد اتسمت هذه الفترة بشيوع استخدام البرونز وظهور بوادر سيطرة الانسان على البيئة ، وتعطينا مدينة جازر الكنعانية صورة للحضارة التي انتشرت آنذاك في السهل الساحلي الفلسطيني .

بعد هذه الموجة ، في حوالي ۱٥٠٠ ق.م ، تعرضت بلاد الشام الى موجة اخرى هي الهجرة الارامية ومنها القبائل المؤابية والادومية والعمونية ، واستقرت جنوب سورية شمال البحر الميت حتى العقبة .

كان من نتيجة هذه الهجرات ان تلاشى جنس حوض البحر الابيض المتوسط ، في العرق السامي الذي طغى على البلاد الشامية والآتي من شبه الجزيرة العربية .

وفيما بين (۲۰۰۰ ـ ۱٥٠٠) ق.م قدمت الى الشرق الادنى موجات جديدة من الشعوب الهندية ـ الاوربية ، جاءت من الجهة الشمالية ـ الشرقية فادى ذلك الى « زحزحة » في الشعوب المستقرة في الرقعة .. ومن هذه

الجماعات بعض الهكيسوس الذين هاجموا مصر من سورية عن طريق فلسطين واحتلوها وأسسوا مملكة واسعة شملت هذه البلاد .

ولما خرج الهكسوس من مصر تبع ذلك قيام الامبراطورية المصرية .. كما صادف قيام امبراطورية الحثيين المنافسة للمصريين ، فآلت الاجزاء الشمالية من سورية لحكمهم ، بينما خضعت سورية الوسطى ولبنان وفلسطين للامبراطورية المصرية ، واخيرا انتهى أمر هذه الامبراطورية نحو ١٢٠٠ ق.م ..

في نحو ذلك الوقت ــ القرن الثالث عشر والقرن الثاني عشر ق.م ــ قدمت الى فلسطين موجتا هجرة ، الاولى ، من بلاد مابين النهرين ، استوطنت المرتفعات الفلسطينية . والثانية ، من جزيرة كريت ★ والجزر المجاورة لها ، استوطنت الساحل الفلسطيني .

ويتفق الباحثون على أن الهجرة الاولى تتكون من قبائل اطلق عليها اسم « الخابيرو » أو « العابيرو » ★★ التي وردت اسمها في رسائل تل العمارنة وأرشيف ماري ، واوغاريت ــ القرن الرابع عشر ق.م ــ في سورية ، اذ تنطبق صفات « الخابيرو » على القبائل التي غزت فلسطين ، وهي مجموعة من المتشردين الذين اجتمعوا للمرة الاولى على أرض كنعان ، وكانوا لا وطن ثابتا لهم ولا جنسية ولا عمل لهم الا السخرة

★ تقع في بحر ايجة . قرب اليونان .

★★ يرجح أن لفظة ــ الخابيرو ــ تدل على (مهاجر بائس) ،

وتأديـة الخدمات .. وقد جمعت هذه القبائل المصلحـة المشتركـة ، وشجعتها الظروف السائدة المحلية والخارجية آنذاك . وعلى أقل تقدير يمكن أن يكون « العبرانيون » هـم أحفاد « الخابيرو » .

ابان غزو هذه القبائل لفلسطين ، كان الغزاة يجدون فيها شعبا كنعانيا ، اطلقوا عليـه تسميات مختلفة ـ مثل : اليبوسيون ، الفرزيون ، العموريون ، الجرجاشيون ـ وكل هـذه الاسماء كانت ترد جنبـا الى جنب مع الكنعانيين في التوراة ، وهذا يدل على عدم وضوح صورة البلاد وسكانها لدى أولئك الغزاة .

وتفيد المصادر أن هذه القبائل العبرانية ، هي في الغالب خليط من الآراميين والعمونيين والأدوميين ، وقد جلبت معها الى فلسطين عبادة يهوه ★ وهو اله قبلي ، قاس ، جاف ، في عبادته الكثير من التقشف والبساطـة .

ولما استقر العبرانيون في فلسطين الداخلية احتكـوا بالكنعانيين واحتلوا بعض بلادهم ، فاستولوا على نابلس ـ شكيم ـ مثلا في عام ١٣٣٧ ق.م .

ولدى استعراض فترة القرن الثاني عشر ق.م ، يمكننا

★ الاله يهوه ، لم يكن الاله الوحيد ، ولكنه هو الذي حفظتـه لنا الرواية اليهودية الدينية ، وكانت لهذا الاله صفات الالهية الصحراوية . وتفيد المصادر ان مملكة اسرائيل الشمالية ـ التي سيمر ذكرها لاحقا قـد قبلت بالهة الكنعانيين في فلسطين وتاثرت بها ، في حين ظلت مملكـة يهوذا الجنوبيـة مخلصة لـ ـ يهوه ـ .

تحديد ثلاث جماعات كانت تقطن أجزاء فلسطين المختلفة :

- الفلسطينيون الذين استقروا أولا في الجزء الجنوبي من السهل الساحلي ، لكنهم لم يلبثوا أن انتشروا شمالا واحتلوا مرج ابن عامر واستقروا حتى في بيسان وظلت غزة وأسدود في مقدمة مدنهم الاصلية .

- العبرانيون الذين كانوا قد استولوا على الاجزاء الجبلية من فلسطين ثم اخذوا بالتوسع على حساب الكنعانيين والفلسطينيين .

- الكنعانيون وكانوا لا يزالون أصحاب الشأن في المنطقة المحصورة بين الفلسطينيين في السهل الساحلي وبين العبرانيين في الجبال .

وقد كانت هذه الجماعات مستقلة عن بعضها بعضا ، وكثيرا ما كانت تقع المعارك بينها ، ومن هنا قامت المدن المسورة التي تعود الى تلك الفترة .

كان من بين الذين هاجروا من بلاد ما بين النهرين ، نحو ١٨٠٥ ق.م ، ابراهيم ، ويغلب انه عموري من العرب السوريين الذين حكموا العراق مدة ٢٧٠ سنة وأسسوا فيه الدولة البابلية .. وحسب الراوية التوراتية ، غادر ابراهيم بلدته - أور - العراقية ومعه زوجته سارة ، وابن أخيه لوط وزوجته ، وغيرهم ..

استقر ابراهيم في حاران أو حران - شمال شرقي دمشق - وبعد موت أبيه (آزر ، تارح بن ناحور) أخذ ومن معه يتنقلون في بلاد الشام بين سهولها وجبالها وقراها ومدنها الى أن نزل

وصحبه « شكيم ـ بلاطة نابلس » في فلسطين ، ثم أخذ يتجول في جنوب فلسطين حتى استقر في بلاد بئر السبع واستمر في تنقله مع جماعته ومواشيه بين هذه البلاد وبين غزة والخليل .

في نحو ١٧٩٤ ق.م ولدت هاجر ـ زوجة ابراهيم المصرية ـ اسماعيل .. وبعد هذا التاريخ ، حوالي عام ١٧٨٠ ق.م ، ولدت سارة ، اسحق الذي سكن في اقصى الجنوب من فلسطين وانجب ولدا سمي « يعقوب ـ اسرائيل » .

عاد يعقوب الى حاران ، وتزوج بابنة خاله « راحيل » فأنجبت له ١٢ ابنا ولدوا جميعهم في سورية باستثناء بنيامين الذي ولد في طريق بيت لحم أثناء عودة يعقوب وابنائه من حاران الى أرض كنعان .

بسبب القحط الذي حصل في فلسطين ، نحو ١٦٥٦ ق.م ، اضطر يعقوب وأولاده للنزوح الى مصر ، وهناك تكاثرت العائلة ، وعاد قسم منها ـ كما تذكر المصادر التاريخية الدينية ـ بقيادة موسى ★ حوالي عام ١٢٢٧ ق.م حيث تاهوا في صحراء سيناء ـ على حد قول الراوية الدينية المعروفة ـ نحو أربعين عاما ، مات موسى بعد ذلك في شرقي الاردن قبل أن يتمكن من العودة الى فلسطين ، فتولى خليفته يشوع بن نون قيادة جماعته ، واقتحم فلسطين ، وبطش وفتك بأهلها .. وبعد وفاته استلم كبار قضاة اليهود الحكم ، فاختلطوا بالكنعانيين وظلوا في حرب مع الفلسطينيين ، بل انهم خضعوا لهؤلاء حوالي خمسين عاما لكنهم مالبثوا ان

★ هناك رأي يقول بان لا علاقة بين موسى ويعقوب .

شكلوا مملكةلهم في حدود ١٠٢٠ ق.م أو ١٠٢٥ ق.م واجمعوا علـــى تنصيب « طالوت » شـــاول بن قيس ملكـــا عليهم .

لكن هذه المملكة لم تنظم شؤونها ، ولم تتلاف خطـــر الفلسطينين الا بعد مقتل شاول على يد الفلسطينين حيث استلم زمام الحكم منافســـه داود (١٠١٦ — ٩٧٦) ق.م وانتصر على ابن شاول ، وبذلك بويع داود ملكا من قبل اتباعه واتباع ابن شاول على حد سواء .

قام داود باحتلال القدس ، واتخذها عاصمة له ، وحارب الكنعانيين وانتصر عليهـــم . وفي الوقت الـــذي كان فيـــه الفينيقيون والاراميون يسيطرون في الشمال كان العبرانيون يسيطرون داخل فلسطين وجنوبها .

في أعقاب موت داود جاء ابنه سليمان (نحو ٩٦٣ — ٩٢٣) ق.م★ وكان سياسيا أكثر منه محاربا ، فانصرف الى تنمية التجارة وأعمال العمران والسلم .. فبنى هيكلا وقصرا ملكيا متواضعين في مكان — بيدر حصل عليه من اليبوسيين أهـــل القدس .

كانت مملكة سليمان تشهد عصيان بعض اجزائها بين الحين والآخر ، بسبب ازدياد نفقات الدولة ومظاهر البذخ ،

★ ذكر مصدر آخر ، ان حياة سليمان امتدت بين (٩٧٦—٩٣٦)ق.م.

★★ الحركة الصهيونية ضخمت اهمية الهيكل والقصر الملكي الى درجـــة الاسطورة .

الامر الذي مهد لانقسام المملكة بعد وفاته الى قسمين مملكتين :

ـ في الشمال « مملكة اسرائيل » ، (٩٢٣ ـ ٧٢٢) ق.م، عاصمتها السامرة .

ـ في الجنوب » مملكة يهوذا* « ، (٩٢٣ ـ ٥٨٦)ق.م، عاصمتها القدس .

دامت مملكة الشمال ٢٠١ عاما كانت خلالها في حرب مع الاشوريين أي القبائل التي جاءت في الالف الثالث من شبه الجزيرة العربية ، وكذلك في حرب مع مملكة الجنوب ، وكانت نهاية مملكة الشمال على يد سرجون الثاني ـ الاشوري ـ فالتحق قسم من « الاسرائيليين » بمملكة الجنوب ، في حين ظل القسم الاخر تحت الحكم الاشوري يدفع الجزية .

أما مملكة الجنوب فقد دامت نحو ١٣٦ عاما بعد هذا التاريخ ـ أي بعد خراب مملكة الشمال ـ كانت خلالها في صراع دائم مع الامم المجاورة كالمؤابيين والعمونيين والفلسطينيين والعرب الكنعانيين وغيرهم .

وبعد أن أخضع فراعنة مصر الاشوريين الى حكمهم ، خضعت مملكة الجنوب اليهم ايضا وكان ذلك نحو ٦٠٨ق.م بيد انه ما لبث أن تمكن الكلدانيون من التغلب على المصريين،

---

* نسبة الى يهوذا اسم سبط من أسباط بني اسرائيل ، وينتسب هذا السبط الى يهوذا رابع أولاد يعقوب ـ اسرائيل ـ .

ووقعت فلسطين تحت حكمهم نحو ٦٠٥ ق.م، وكانت نهاية مملكة الجنوب على يد نبوخذ نصر الكلداني سنة ٥٨٦ق.م، فدمر الهيكل وخرب القدس ونفى الكثيرين من أبناء مملكة يهوذا الى بلاده ــ بابل .

بقي اليهود المبعدون في بابل نحو ٧٠ سنة ، وعندما فتح الفرس فلسطين نحو ٥٣٨ ق.م ، أعاد كورش الفارسي قسما من يهود بابل المسبيين الى فلسطين ، وتمكن هؤلاء من اعادة بناء الهيكل في عام ٥١٦ ق.م .

توالت الفتوحات على فلسطين ، فخضعت في عام ٣٣٢ ق.م الى حكم المكدونيين * بقيادة الاسكندر الاكبر ، وابتدأ حكم البطالسة في عام ٣٠١ ق.م ، وحكم السلوقيون فلسطين في عام ١٩٨ ق.م الذين كانت عاصمتهم بابل ثم سلوقيه على ضفاف دجلة .. وفي هذا العهد ثارت العائلة المكابية اليهودية حوالي عام ١٦٧ ق.م ، وتمكنت من الاستقلال عام ١٤١ ق.م . ومع تعاظم النفوذ الروماني تمكن الرومان من الاستيلاءعلى فلسطين من عام (٦٣ ــ ٤٠)ق.م، حيث سيطر الفرس بعد ذلك على فلسطين ، لكن الرومان ما لبثوا أن عادوا الى حكم فلسطين نحو ٣٨ ق.م .. وبعد هذا التاريخ بحوالي عشر سنوات تم القضاء على المكابيين وابتدأ حكم الهرادسة . قبل ميلاد المسيح عليه السلام بأربعة أعوام توفي هيرودس الاكبر ، بيد أن حكم الهرادسة دام حتى عام ١٠٠ ميلادية ، جرى خلالها ، في عام ٧٠م ، خراب القدس على يد طيطوس الروماني .

---

* نسبة الى مكدونيا الواقعة شمال بلاد اليونان .

أما التشتت اليهودي الكبير ، فقد تم في عام ١٣٥ م على اثر اخماد ثورة بركوكب اليهودي ضد الرومان .

في عـــام ٣٩٥م انقسمت الامبراطوريـــة الرومانية ، ودخلت فلسطين تحت حكم الامبراطورية الرومانية الشرقية .

في عام ٢٦٧م احتلت زنوبيـــا ملكة تدمر فلسطـــين ، ودام ذلك نحو /٥/ سنوات ، عادت فلسطين بعدها الى حكم الرومان .

في عام ٦١٤م احتل الفرس فلسطين ، لكن الحكـــم الروماني عاد اليها فيعام ٦٢٧م . الا ان المرحلة الجديدة والنوعية بعد هذه السلسلة من الصراعات والفتوحات ، بدأت منـــذ عام ٦٣٦م حين قـــام العرب المسلمون بفتـــح البـــلاد .

وتجدر الاشارة هناالى ان العرب قبل الاسلام لـــم يكونوا غرباء عن فلسطين ، فقد كانت قوافلهـــم التجارية تصل اليها من الجنوب الشرقي ومن الشرق .. عدا عـــن أن العرب كانوا يقيمون اقامـــة دائمة في النقب وفي الاجزاء الجنوبية والجزء الاوسط من السهلالساحلي الفلسطيني حول غزة وما جاورها وحول قيسارية .

على ان العرب دخلوا فلسطين كفاتحين في القرن السابع للميلاد ــ ٦٣٣م ــ بقيادة عمرو بن العاص ويزيد بن ابـــي سفيان اللذين تمكنا من السيطرة على القسم الجنوبي مـــن فلسطين عام ٦٣٤ م . وفيما بعد دخل شرحبيل بن حسنة عن طريق الاردن وفتح عكا ..

ولم يتمكن العرب من الانتصار على البيزنطيين الا بعد معركة اليرموك سنة ٦٣٦م ، وعندها ادرك سكان القدس

ان عليهم التسليم للجيوش العربية.. وفعلا سلم البيزنطيون القدس للخليفة عمر بن الخطاب في عام ٦٣٧م ، وهكـذا كان على قيسارية التي استعصت على الفتح لمدة سنتين ان تفتح على يد معاوية سنة ٦٤٠م **وظلت فلسطين تحت** ظل الحكم العربي الاسلامي طيلة عهد الخلفاء الراشدين الى سنة ٦٦١ م وما تلا ذلك في العهدين الاموي (٦٦١-٧٥٠)م والعباسي حتى اواخر القرن التاسع الميلادي .

وبعد ضعف الدولة العباسية قامت الدولة الاخشيدية في مصر باحتلال فلسطين ، تلتها الدولة الفاطمية في القـرن العاشر الميلادي .

وفي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي شهدت فلسطين موجة من الغرب هي موجة الصيلبيين الذين احتلوا القدس سنة ١٠٩٩م ، وبعد ذلك بقليل استولوا على موانىء البلـد كلها ، وانتزعوها من الفاطميين وظلوا فيهـا الى سنة ١٢٩١ م حين أخرجهم المماليك منها بعد حوالي ١٠٠عام من معارك صلاح الدين المشهورة .

استمر حكم المماليك لفلسطين حوالي ٢٢٥ عامـا ، ومع صعود قوة العثمانيين خضعت فلسطين لحكمهم بعـد انتصارهم عام ١٥١٦م على المماليك في معركة مرج دابق قرب حلب .

وظلت فلسطين جزءا من ولاية الشام ـ وفيما بعد من ولاية بيروت ـ وفق التقسيمات الادارية العثمانية طـوال أربعة قرون حتى عام ١٩١٦ عند انحسار النفوذ العثماني عن الوطن العربي ، وخضوع فلسطين بالكامل للاستعمـار البريطاني سنة ١٩١٧-١٩١٨م .

الفصـــل الثالث

فلسطـــين عربيـــة

مع ان استعراض تاريخ فلسطـين القديم يضعنا في دائرة اليقين التام بان فلسطين لم تكن يوما من الايام (أرضا يهودية)كما تدعي الحركة الصهيونية ، وبالرغم من أن الفكر السياسي العربي يتعامل مع عروبة فلسطين كمسلمة وحقيقة لايخالطها أدنى ريب ، نرى من المفيد هنا أن نسلط الاضواء على الدعاوى المختلفة التي يحاول الصهاينة عن طريقها ترويج (أحقيتهم) بفلسطين ، واعتبارها وطن اليهود .. الخ .

● مقولة الحق التاريخي :

رأينا في الفصل السابق ان الحكم لم يستقر لليهود في فلسطين اكثر من ٧٠ـ ١٠٠عام (في عهدي داود وسليمان) ومع ان هـذا الاستقـرار أمر غـير مستغرب في المنظـور التاريخي لان اليهود لم يكونوا أول من دخل فلسطين وأقام فيها ، فان مجيء اليهود الى فلسطين كان امـرا عاديا في سياق الاحداث التاريخية ، هذا مع العلم ان التاريخ لـم يعرف لفلسطين سكانا مواطنين قبـل الكنعانيين الذيـن ظلوا فيها طوال فترة حكم اليهود وبعد جلائهم عنها ،اضف الى ذلك ان سيادة العرب المسلمين اللاحقة استمرت منذ ١٤ قرنا دون انقطاع .

هذه المسألة تعطي قيمة حقيقية لشهادة هـ. ويلز في كتابه « موجز التاريخ » اذ يقول : « كانت حياة العبرانيين في فلسطين تشبه حالة رجل يصر على الاقامة وسط طريق مزدحم فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار .. ومن البدء حتى النهاية لم تكن مملكتهم سوى حادث طارىء في تاريخ مصر وسورية وآشور ، ذلك التاريخ الذي هو أكبر وأعظم من تاريخهم » .

وثمة حقيقة تسترعي الانتباه هي ان اليهود القدامى، أو بني اسرائيل ، بتشتتهم التام في دول العالم كانوا عرضة لتمازج وتغيرات بين ظهراني الشعوب التي اختلطوا فيها ، أضف الى ذلك ان الغالبية العظمى من اليهود الحاليين قد اعتنقوا اليهودية لاحقا ، وأفضل مثال على ذلك ما جرى في مملكة الخزر حيث اتخذ الكثيرون من رعاياها اليهودية دينا لهم ، وبهذا يمكن الحكم بان ليس لهؤلاء اليهود وأمثالهم — الذين يهجرون الان الى فلسطين — أية علاقة بفلسطين .. على أية حال ، ومهما بقي من صلة لليهود القدامى — بني اسرائيل — باليهود الحاليين ، فان هذه الصلة ضعيفة جدا ، وتكاد لا تذكر بين حقائق علم الانتروبولوجيا ،وبالتالي لا تؤهل اليهود — على فرض صحة تبني الحق التاريخي — للمطالبة بالعودة الى فلسطين .. زد على ذلك انه لا يمكن القبول بمقولة الحق التاريخي التي تطرحها الحركة الصهيونية للاسباب التالية :

★ **أولا** ، انها تقوم على اساس ديني وميثولوجي يعتمد مفهوم الارض الموعودة الواردة في التوراة الحالية ، والوعد

الالهي (...) دون وجود أدلة تاريخية ومادية تؤكد هذا القول ، وهو ما يجعل القانون الدولي لا يقبل بها .

★ **ثانيا** ، ان ملكية اليهود أيام داود وسليمان غير قابلة للانسحاب والامتداد الى المستقبل البعيد ، نظرا لاعتبارات التخلي المقرون بالتقادم ، حيث انقطع اليهود عن فلسطين قرونا عديدة .. ووفقا لمبدأ التقادم تصبح المطالبة بفلسطين من قبل اليهود بموجب الوعد الالهي والحق التاريخي !!! أشبه بمسألة الحق الالهي التي قضت عليها الثورة الفرنسية .

★ **ثالثا** ، لم ينفرد بنو اسرائيل واليهود في امتلاك الاراضي في فلسطين ، فقد سبق هذا الامتلاك أو تزامن معه ثم استمر بعده وجود وملكية للعرب أوسع وأقوى . وان الفترة التي حكم اليهود فيها فلسطين تكاد لا تذكر أمام مئات القرون التي كانت فيها فلسطين ولا زالت قطعة من الارض العربية .

★ **رابعا** ، ان الانسياق وراء وهم الحق التاريخي لليهود ـ على فرض التسليم به جدلا ـ لا يمكن ان يستقيم ومعطيات وشرائع العصرفي المجالاتالقانونية والجغرافيةوالسياسية . والا لاقتضى منا التسليم مثلا بعودة حكم ايران لتركيا ، والمغول للعراق ، وعودة حكم اليونان لمعظم أوروبا ، وعودة حكم العرب لاسبانيا ، وخضوع الوطن العربي للاتراك مرة أخرى .. الخ .. وهي أمور كما نرى لا يمكن ان تستند ولو الى قدر بسيط من الحكمة والموضوعية والمنطق .

● مقولة ((السند القانوني)) :

تسعى الحركة الصهيونية لاضفاء صفة « قانونية على الدعاوى الدينية والتاريخية في المطالبة بفلسطين . ويعتبر الصهاينة ان تصريح بلفور قد جسد قانونية هذه الدعاوي»، وكذلك الامر بالنسبة لصك الانتداب البريطاني الذي نص على تمكين اليهود من اقامة دولتهم في فلسطين ..

بيد ان تصريح بلفور باطل اساسا لانه تم بين طرفين غير مؤهلين لتقرير مصير فلسطين ، وقد أعطي من قبل من لا يملك الى من لا يستحق ، متجاهلا ارادة وأحقية الطرف العربي في امتلاكه لفلسطين .. ومثل هذا الامر يمكن ان يقال بخصوص صك الانتداب البريطاني .

واذا كان الصهاينة قد استندوا فيما بعد الىمقررات الامم المتحدة فلابد من الاشارة هنا الى ان هذه القرارات جاءت اصلا في ظل اختلال موازين القوى لصالح الغرب ، ومع ذلك فان هذه القرارات لم تتضمن فقط حق اليهود في اقامة دولة لهم في فلسطين ، وانما أيضا دعت الى ضرورة عودة المشردين من ابناء فلسطين الى وطنهم ، ودون أن تمس حقوق ومصالح العرب في فلسطين بأي سوء .

● مقولة ((الحل الانساني للمسألة اليهودية)) :

تحاول الحركة الصهيونية أن تظهر احتلالها لفلسطين وكأنه جاء ملبيا لتطلعات العالم نحو حل ما يسمى ب (المسألة اليهودية) ، اذ حقق انشاء « دولة اسرائيل» توفير ما يسمى

بالملجأ الآمن لليهود ،ووضع حد لـ (الشتات اليهودي) وغير ذلك من الدعاوى التي غذتها الحركة الصهيونية .. وكما هو واضح فان الصهاينة يسقطون من حساباتهم مسألة الحاق الظلم والاجحاف بحق ابناء فلسطين الاصليين ويعتبرونهم غير موجودين ، وكأنما هناك قناعة بان لا مانع من حل مشاكل اليهود ـ المصطنعة غالبا ـ على حساب شعب آمن ويتواجد على ارضه منذ آلاف السنين .

● مقولة « اعمار فلسطين » :

يدعي الصهاينة ان فلسطين هي أرض بلا شعب ينبغي ان تعطى لشعب بلا أرض (...) ، وهي المقولة التي تبناها ز نجويل وغيره من مفكري الصهاينة الاوائل .

كما يرون ان هناك فراغا حضاريا في فلسطين ، وان التصحر صفة سائدة سواء بالنسبة للارض أم بالنسبة لأنشطة (الجماعات) التي تعيش في هذه الارض .

ويعتبر الصهاينة ان انشاء « اسرائيل » تم لتعمير هذه الارض وليفيد كل سكانها اقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ، وهذا يعني انهم يعتقدون بأن المستوطنين اليهود هم حملة الحضارة والتقدم والرفاهية لفلسطين ، وبالتالي هناك فائدة يمكن ان يجنيها العرب من قيام « دولة اسرائيل » .

ان مثل هذه الحجج تتلاشى عند الاصطدام بواقع ان الصهاينة استولوا على الاراضي الزراعية الخصبة ،

وان نسبة الاراضي الصحراوية في فلسطين لم تشهد الا انخفاضا طفيفا منذ عام ٤٨ لعب فيه التطور التقني دورا بالغا في الاعوام الثلاثين الاخيرة على غرار كافة دول المنطقة.

ومع أن عرب فلسطين ـ الذين عاشوا تحت وطأة الاحتلال العثماني والبريطاني فيما بعد ـ كانوا يعانون من التخلف كأي بلد من بلدان العالم الثالث ، الا ان هذا التخلف لا يصل الى مستوى (الفراغ الحضاري) فمثل هذا الفراغ يكون حين لا توجد جذور حضارية لشعب ما ، في حين نجد ان شعب فلسطين كجزء من الامة العربية اسهم على مدار مئات السنين في بناء صرح الحضارة العربية جنبا الى جنب مع الشعب العربي في كافة أمصاره وأقطاره .

● مقولة « الموافقة العربية » :

تعتبر الحركة الصهيونية ان ما تم لها من الحصول على أرض بالشراء ـ غالبا من ملاكي الاراضي والاقطاعيين غير الفلسطينيين ـ أو بالاحتلال ، وغير ذلك ، علامة رضى عربي على قيام « اسرائيل » .

ومع ان نسبة الاراضي التي حصل عليها الصهاينة قبل عام ٤٨ بمختلف الاساليب لا تتجاوز ١٤٪ من مجموع مساحة فلسطين ، الا انهم يصرون على ان هناك موافقة مبدئية من قبل العرب على ان للصهاينة حق التمتع بكيان لهم فوق أرض فلسطين .

وهكذا تسقط هذه المقولة في مواجهة سؤال : كيف يوافق المرء على تشريـد ذاتـه ، وعلى اختراق جسـده بسرطان يهدد وجوده ؟!

● مقولة « الامر الواقع » :

نشطت هذه المقولة بعد قيام الكيان الصهيوني والدعم الذي تلقاه من قبل الاستعمار البريطاني والغربي عموما وفيما بعد من الامبريالية الامريكيـة ، في شـن الاعتداءات المتكررة على العرب ، وما تبع ذلك من مساع صهيونيـة لاجبار العرب على الاعتراف باسرائيل كأمر واقع .

وفي سبيل ترويج هذه المقولة تتشبث « اسرائيل » بعدم التنازل عن أي من الحقوق الفلسطينية والعربية التي اغتصبتها في محاولة لتيئيس الجماهير الفلسطينية والعربية وابتزاز التنازلات والاعتراف بها بحجة ان اسرائيل لا يمكن ان تقهر وان الاجدى هو اختيـار « أهون الشريـن » أي الاعتراف باسرائيل الحاليـة حتى لايجـد العرب انفسهم مضطرين (...) للاعتراف مستقبلا باسرائيل الكبرى .!؟! في الجانب المقابل كان الاصرار العربي على رفض الرضوخ والامر الواقع ، والنهوض بمستوى نضالات وتقدم الامة العربية لدرء الاخطار عنها ، واستعادة حقوقها ، هو القاعدة التي حكمت نهج حركة التحرر العربية ، والتي لن تشهد استثناء مهما كان حجم الهجمة الصهيونية ــ الامبرياليـة على امتنا .

ان جملة الحجج والمقولات السابقة لاتعدو ان تكـــون دخانا يراد له أن يخفي حقيقة ان الكيان الصهيوني هو مشروع امبريالي ، مثلما هو مشروع صهيوني ، وان الاستعمار الغربي سعى منذ أمد بعيد الى خلق هذا الكيان كيما تتسنى له السيطرة على مقدرات الامة العربية ونهب ثرواتها ، حيــث تضطلع « اسرائيل » بمهمة كونها قاعدة وركيزة للاستعمار في المنطقة العربية ، تناط بها عملية ضرب حركــة التحرر العربيــة والحؤول دون توحيد وتقدم الامة العربية .

الفصل الرابع

من الانتداب البريطاني الى الاحتلال الصهيوني

ـ النضال الوطني ـ

ما كاد عرب فلسطين يتخلصون من الاستعمار العثماني ، حتى وجدوا أنفسهم أمام استعمار غربي لا يقل شراسة عن سابقه . فعلى اثر اتفاقية سايكس ـ بيكو عام ١٩١٦ التي تم بموجبها اقتسام اقطار المشرق العربي بين الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا ، وبعد انهيار الامبراطورية العثمانية ، خضعت فلسطين للاستعمار البريطاني ..

ومنذ السنوات الاولى للاحتلال ، عملت بريطانيا على اتباع سياسة ظالمة بحق الشعب العربي الفلسطيني واحتضنت المطامع الصهيونية في فلسطين .. وبعد ان أصدرت التصريح المشهور باسم « وعد بلفور » في اقامة « وطن قومي » لليهود في فلسطين عام ١٩١٧ ، تابعت خطواتها الاستعمارية دون مساس او نسيان للمطالب الصهيونية بل وفي محاولة لتنفيذ ما جاء في صك الانتداب .

ومن المعروف ان صك الانتداب البريطاني المعد عام ١٩٢١ والذي أعلن مشروعه من قبل عصبة الامم وصودق

عليه عام ١٩٢٢ ووضع موضع التنفيذ عام ١٩٢٣ ، قد تضمن ما يلي :

« تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي » .

أما عن مقاومة عرب فلسطين للسياسة والوقائع البريطانية الممهدة لانشاء الكيان الصهيوني ، فيمكن القول مع وضع هذه المسألة في اطارها التاريخي ، ان المرحلة الاولى من النضال الوطني الفلسطيني على امتداد السنوات العشر الاولى من عهد الانتداب البريطاني ، لم تكن قوية وعميقة بما فيه الكفاية ذلك ان قيادة هذه المرحلة كانت على ايدي شخصيات تنتمي الى شرائح الاقطاعيين والوجهاء وكبار الملاك ، فلم تقم هذه القيادات باكثر من الاساليب السلبية في النضال ـ الشكاوى ، ومذكرات الاحتجاج ، البيانات ، العرائض ، المؤتمرات .. الخ ..

وبالرغم من ذلك كانت الهبات الشعبية المتفرقة بشكل عفوي أحيانا ومنظم أحيانا اخرى ، دون ان تكون لتلك القيادات أدوار هامة ..

على ان تبسيطا وتهوينا لدور الذين قادوا النضال الوطني الفلسطيني في تلك الحقبة هو اسقاط وانكار لمايمكن ان نسميه انجازات الحد الادنى ، واجحاف بحق الذين اخلصوا للنضال ، حتى ولو كان بشكله السلبي غير المقاوم.

ويقتضي منا الامر هنا ان نرصد بعض التحركات

الوطنية سواء في المرحلة المشار اليها او المراحل اللاحقة .

بعد ان علم الفلسطينيون بوعد بلفور دفعوا الىمؤتمر السلم العام ووزارة الخارجية البريطانية مذكرة احتجاج جاء فيها :

« البلاد بلادنا قديما وحديثا .. وطننا القديم الذي حققنا فيه مجدا عظيما بثمانية قرون كان الرقي الاوروبي في العصر الحاضر من نتائجه لان ذلك طوت أمره العصور ».

وتميزت هذه الفترة ببروز العامل القومي المناهض للاطماع الصهيونية والتعاطف الغربي معها والتأييد البريطاني لها ، وهكذا قامت اول مظاهرة عربية في القدس في تشرين الثاني ١٩١٨ كرد على التحركات الصهيونية العامة والتي تمثلت بتنظيم اليهود لمظاهرة كبيرة احتفاء بالذكرى الاولى لوعد بلفور . ونشطت الجمعيات ذات الطابع الديني الوطني — وكان مرسوم لها بالاساس ان تؤدي دورا خدماتيا لا سياسيا — فتبلورت اتجاهاتها الوطنية شيئا فشيئا ، وتداعت لاول مرة الى عقد مؤتمر عربي فلسطيني في أوائل عام ١٩١٩ في القدس . لكن اساليب هذه الجمعيات في نضالاتها لم تتعد الاشكال السلبية المذكورة ، واقصى ما توصل اليه المؤتمر الفلسطيني الاول هو اصدار قرارات تدعو الى التمسك بوحدة البلاد السورية ، والاستقلال الوطني ، ومقاومة تصريح بلفور .

على الجبهة الاقتصادية ، ازدادت عملية ابتياع الصهاينة للاراضي من الاقطاعيين ، وغالبيتهم من غير أبناء فلسطين ، ونجم عن ذلك فقدان قسم من الفلاحين العرب للاراضي التي

يعملون بها ، وتعرض هؤلاء الفلاحون الى أعباء اقتصادية وخاصة على أثر القحط الذي شهدته البلاد ، وتناقص قيمة المحاصيل الزراعية بعد انتهاء الحرب ، ومع ذلك كانت ادارة الانتداب تضغط باتجاه تحصيل الديون والضرائب والفوائد ، مما ساهم في شحن اتجاهات النقمة العارمة لدى الفلاحين العرب على سلطات الانتداب .. وكانت هذه الاوضاع تربة خصبة لنمو بذور التحدي والمقاومة ، مما يلقي ضوءاً على الخلفية التي استندت اليها أساليب النضال الاكثر تطورا وفاعلية .

وحين أرسل الامريكيون لجنة التحقيق المشهورة باسم « لجنة كينغ كراين » بادر رجالات العرب في فلسطين وسورية ولبنان لعقد المؤتمر السوري العام في منتصف عام ١٩١٩ لصياغة مقررات ومطالب ترفع الى اللجنة المذكورة .. ومما جاء في مقررات هذا المؤتمر :

« اننا نرفض مطاليب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية وطنا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى أي قسم من بلادنا لانه ليس لهم فيها أدنى حق ولانهم خطر شديد جدا على شعبنا » .

وشهدت فلسطين كغيرها من الاقطار العربية تحركات شعبية كان منها قيام حوالي ٢٠ ألف مواطن عربي فلسطيني بتنظيم مظاهرة ضخمة في شباط ١٩٢٠ احتجاجا على ماقررته الدول الاستعمارية في مؤتمر الصلح بباريس واستنكارا لسلخ فلسطين عن سورية ورفضا للاصرار البريطاني على عدم اعطاء فلسطين حقها في الاستقلال ، والتفريط بها عبر تمرير وعد بلفور .

في ١٩٢٠/٣/١١ وبينما كان العرب المسلمون يتجهون نحو القدس من القرى المجاورة رفعت شعارات وهتافات معارضة للهجرة الصهيونية ومطالبة بالوحدة والاستقلال وقادت بالتدريج الى انفجار الموقف بين العرب والصهاينة بسبب استفزازات من قبل الصهاينة ، واستمرت أعمال العنف والعنف المضاد طيلة الفترة بين الرابع من نيسان الى العاشر منه .

ردود الفعل البريطانية على النهوض الوطني الفلسطيني ، لم تكن خارج اطار الاستمرار في زيادة الاعباء على كاهل العرب الفلسطينيين ، فنشطت سلطات الانتداب في تحصيل الضرائب منهم وأهملت قراهم ، وفي المقابل قدمت المزيد من القروض للمستوطنين الصهاينة واهتمت بمستوطناتهم وشجعت على تعميم اللغة العبرية ، وهكذا يمكن اعتبار مثل هذه السياسة الاستعمارية من جملة الاسباب الداعية للنقمة العربية وتوق العرب للهبّات الشعبية .

هذه الهبّات كان يعبّر عنها ظهور المقاومة المسلحة ، حيث أغار المناضلون الفلسطينيون على المستعمرات الصهيونية بالقرب من يافا وقتلوا الزعيم الصهيوني جوزيف ترمبلدور ، وما لبثت انتفاضة يافا ان امتدت الى المناطق المجاورة .

في نيسان ١٩٢٠ ، تداعى أهالي الخليل الى مدينة القدس في مسيرة شعبية ألقيت فيها كلمات وخطب سياسية لقادة الحركة الوطنية الفلسطينية ، وما ان لجأ اليهود الى توجيه اهانات للعرب المتجمهرين هناك ، حتى كان ذلك ايذانا بوقوع اشتباكات بين العرب من جهة والصهاينة

والقوات البريطانية من جهة أخرى ، واستمر ذلك حوالي أسبوع استشهد خلالها أربعة مواطنين من العرب وجرح حوالي ٣٥٠ منهم ، وبين اليهود كان عدد القتلى أربعة وعدد الجرحى حوالي ٢١٠ يهوديا .

.. لقد كان السبب الحاضر دوما في مثل هذه الاحداث استياء عرب فلسطين من تصريح بلفور والهجرة اليهودية الى وطنهم ومحاباة الانكليز لليهود في مختلف المصالح والمرافق محاباة تامة .

وتمشيا مع هذه المحاباة سنت حكومة الانتداب مجموعة قوانين تهدف الى ضرب ارتباط الشعب الفلسطيني بأرضه، وتضييق الخناق على حرياته ، وتابعت سلطات الانتداب تسهيل عملية انتقال الاراضي الى أيدي الصهاينة ، ولم تتورع عن اجلاء الفلاحين العرب عن أراضيهم ، وعمدت الى تقويض أركان الصناعة الوطنية وتشجيع الصناعة اليهودية ، وكانت السلطات بالاضافة الى ذلك تشرف على تسليح وتدريب العناصر والعصابات الصهيونية .

.. **المؤتمرات الفلسطينية** كانت تتوالى ، فبعد أن تم اعتبار المؤتمر السوري العام مؤتمرا فلسطينيا ، جرى في دمشق ــ شباط ١٩٢٠ ــ عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني، وأكد ثانية « أن أهالي سورية الشمالية والساحلية يعتبرون سورية الجنوبية ــ فلسطين ــ قطعة متممة لسورية .. ورفض الهجرة الصهيونية لخطرها على كيان البلاد السياسي، ورفض جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود » .

وبعد حوالي عشرة أشهر عُقد المؤتمر الفلسطيني

الثالث ، وطالب بتشكيل حكومة وطنية ذات تمثيل نيابي ، وكلف المؤتمر وفدا لمقابلة ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك لطرح مطالب العرب .

لكن تشرشل كان يصر على تمكين اليهود من تحويل فلسطين الى وطن لهم ، فرفض الاعتراف بالوفد الفلسطيني ، وترافق ذلك مع نشاط المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل أحد صانعي تصريح بلفور في ممارسة سياسة القهر الاقتصادي ضد الفلاحين العرب ، مساهما بنقل قسم غير ضئيل من الاراضي العربية الى أيدي المؤسسات الصهيونية ، ومتجها صوب فتح باب الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، ومقيدا الفرص أمام العرب للتعيين في الوظائف الحكومية واقتصار هذه الوظائف في غالبيتها على الانكليز والصهاينة .. فكان ذلك كفيلا أيضا بازدياد سخط المواطنين العرب وتبرمهم من الظلم والاجحاف بحقهم .

في هذه الاثناء جرت في مدينة حيفا تظاهرة كبرى ـ آذار ١٩٢١ ـ استنكارا للموقف الذي اتخذه تشرشل من الوفد الفلسطيني ، وقد فرقت المظاهرة بالقوة على يد الشرطة البريطانية ، وسقط اثنان من المتظاهرين العرب .

وحين زار تشرشل القدس في أواخر آذار من العام ذاته ، خرج أبناء القدس بمظاهرة أخرى ، معلنين سخطهم على موقف الحكومة البريطانية وتصريح بلفور .

وشهد شهر أيار من العام ١٩٢١ صدامات عنيفة بين المواطنين العرب وبين المستوطنين الصهاينة ، تم فيها الهجوم على مستعمرات بتاح تكفا ورحبوت والخضيرة وديران ،

ورد الصهاينة على ذلك بالهجوم على بلدة قلقيلية العربيـــة فنهبوها .

سلطات الانتداب تجاهلت هذا الهجوم في حين تصدت للعرب بالطائرات ، وفرضت غرامات باهظة عليهم ، وكانت حصيلة هذه الهبّة سقوط حوالي ٤٨ شهيدا و٧٣ جريحـــا من العرب .

هذه الاحداث جعلت سلطات الانتداب تعين لجنة تحقيق دعيت باسم .. الجنة هايكرافت .. بهدف التحقيق في أسبابها . وبعد أن قامت اللجنة بمهمتها رفعت تقريرهـــا الى مجلس العموم البريطاني في تشرين الاول ١٩٢١ ، ومما جاء فيه أن سبب الصدامات هو « الشعور السائد في البلاد ضد اليهود ، وهو ناشيء عن خطة الحكومة ــ البريطانية ــ فيما يتعلق بالوطن القومي اليهودي » .
ويرى تقرير اللجنة ان شكاوى العرب كانت منصبة على:

ــ سياسة الحكومة الراميـــة الى تأسيس وطن قومي لليهود .

ــ استشارة الحكومة للجمعية الصهيونية ، وتحول هذه الجمعيـــة الى « حكومة داخل حكومة » .

ــ تعيين عدد كبير من اليهود في الوظائف الحكوميـــة .

ــ مزاحمة المهاجرين اليهود للعرب ، واساءة هؤلاء المهاجرين للعرب ومعاملتهم باحتقار .

غير أن السلطات البريطانيـــة استمرت في تنكرها لحق

عرب فلسطين .. وفي مواجهة ذلك اكد المؤتمر الفلسطيني الرابع ــ تموز ١٩٢٢ ــ تشبث ابناء فلسطين بحقوقهم ، فجاء في بيان اللجنــة التنفيذيــة الصادر عن المؤتمران للعــرب في فلسطين حقهم في تقرير مصيرهم ومصير بلدهم السياسي .. وهم متمسكون به وعنــه مدافعون ، لا يثنيهم عنه قرار ، ولا يردهم عن طلبــه راد .

كما أصدر المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المنعقد في نابلس ــ آب ١٩٢٢ ــ بيانا جاء فيــه :

نحن نواب الشعب العربي الفلسطيني .. نعاهد اللــه والتاريخ والامة على أن نواصل السعي في سبيل اســتقلال بلدنا وتحقيق الوحدة العربيــة .. واننا لا نرض بالوطــن القومي اليهودي والهجرة الصهيونيــة .

ويمكن القول ان السنوات السبع التي تلت هذه الفترة كانت تتماثل في وقائعها عما شهدته فلسطين في العام ١٩٢١ لكن تغيرا نوعيا نسبيا طرأ على تلك الوقائع على أثر انتفاضة البراق .

ونستطيع وضع هذه الانتفاضة في سياقها بعد معرفة ان حكومة الانتداب ومنذ دخول القوات البريطانية الى فلسطين كانت تبذل جهودهـــا لتمكين الصهاينة من اقامة الوطن القومي **اليهودي ، وتشجع الدعاوي الدينية اليهودية القائلة ان على**
انيهودي ، وتشجع الدعاوي الدينية اليهودية القائلة أن على
كان الصهاينة يتداولون صورا لهيكل يهودي ضمن توجه انه سيبنى في موضع الصخرة المشرفة حيث يعتقد الصهاينــة أن هيكل سليمان يقوم هناك .

قبل انتفاضة البراق العربيــة بحوالي العام ــ أي في أيلول ١٩٢٨ ــ احتشد الصهاينة بجوار « حائط البراق » في القدس ، وطالبوا بامتلاكه وفي ٢٩/٨/١٤ قامت تظاهرة يهودية في تل أبيب بمناسبــة ذكرى تدمير هيكل سليمان ، وجرى تنظيم مسيرة حاشدة من قبل المتطرفين الصهاينــة بتوجيه من جابوتنسكي واخترقت أحياء القدس حتى حائط المبكى .

وهناك رفعوا العلم الصهيوني وبدؤوا بترديد النشيد الصهيوني ــ هاتكفا ــ وشتموا المسلمين .

بعد ذلك مباشرة ، ولدى حلول ذكرى المولد النبوي قام العرب بمظاهرة معاكسة في اليوم التالي ، فبعد صــلاة الجمعة اندفــع المتظاهرون باتجــاه مقر احتفالات اليهــود فأحرقوا منضدة وبعض الاوراق التي تحتوي على نصــوص الصلوات اليهوديــة الموضوعة في حائط المبكى .

وتوالت الاحداث المتفرقة ، وعمت نابلس والخليــل وبيسان ويافا وحيفا وصفد .. وكان موقف السلطات المحابي لليهود بالدفاع عنهم وعن ممتلكاتهم واطلاق النار على المتظاهرين العرب ، ينعكس على مواقف المدن العربيــة ، حيث اتخذت هذه المواقف طابع المعاداة المزدوجة للبريطانيين وللصهاينــة على حد سواء ولقد برهنت هــذه الانتفاضــة ، لا سيما في احداثها التي جرت في اب ١٩٢٩ ، على أن القضية الفلسطينية هي قضية السواد الاعظم من الشعب الفلسطيني في مواجهة اعدائــه .

بعد انتهاء هذه الاحداث ، وعلى أثر توالي المنــدوبين

البريطانيين الى فلسطين تحت يافطة حل الخلافات العربية اليهودية ، شكلت الحكومة البريطانية لجنة برلمانية دعيت باسم « لجنة شو » للوقوف على أسباب الاحداث ، واستخلاص الدروس بغية عدم تكرارها .

نفذت لجنة شو مهمتها ، وأعدت تقريرا في آذار ١٩٣٠ أكدت فيه بأن السبب الرئيسي للاضطرابات هو شعور العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود ، شعور نشأ عن خيبة أمانيهم السياسية والوطنية ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي.. بسبب الهجرة اليهودية وشراء الارض .

وقد كان هذا التقرير مقدمة لاصدار حكومة الانتداب كتابا بدا ظاهريا انه لا يكرس المحاباة البريطانية المعهودة للصهاينة ، دعي « الكتاب الابيض » ، وقد تضمن أفكارا حول ضرورة وضع حد للسياسة اليهودية ، ولكمية الهجرة السنوية لكن حكومة الانتداب تراجعت عن ذلك تحت تأثير الضغوط الصهيونية ، فبرز في العام ١٩٣١ مضمون معاكس وجديد للكتاب الابيض ، في تصريح رئيس وزراء بريطانيا ماكدونالد أشار فيه الى ان « الكتاب الابيض لا يعني منع اليهود من امتلاك أراضي جديدة .. وان الحكومة .. لم يخطر ببالها ايقاف أو منع الهجرة اليهودية » . وقد أطلق على هذا التصريح اسم « الكتاب الاسود » .

على أية حال ، كانت انتفاضة البراق كفيلة بان تظهر للعرب عقم أساليب النضال السلبية ، بالاجتماع والمظاهرات والعرائض .. الخ . فشهدت المرحلة اللاحقة تطورا نوعيا في هذه الاساليب اتسمت بالمقاومة المادية المسلحة ضد سلطات

الانتداب وضد العصابات الصهيونية ، فعاشت الحركة الوطنية الفلسطينية فترة نهوض ثوري حقيقي استمر من عام ١٩٣٠ الى ١٩٤٠ ، لم تنقطع فيها حملات التوعية الوطنية بين الفلاحين في التشبث بأراضيهم والتنبه لمخططات سلطات الانتداب وللمؤامرات التي يبيتها الصهاينة ضد وطننا الفلسطيني .

ومن جملة المحطات النضالية في هذه السنوات ، كانت انتفاضة ١٩٣٣ اذ قاد تصاعد التحريض ضد حكومةالانتداب الى انفجار بلغ أوجه في ١٩٣٣/١٠/٢٩ ، حين قذفت الجماهير العربية أفراد البوليس بالقنابل اليدوية ، ورد البوليس بفتح النار على الجماهير ، مما زاد في التوتر ، ودفع العرب لتنفيذ الاضراب الشامل الذي استمر حوالي ٤ أيام .. وخلافاً لقرار السلطات الذي صدر بقمع هذه الانتفاضة فقد استمرت حوالي ستة أسابيع .

واذا كانت الاسباب البعيدة التي كانت تؤثر في قيام هبّات وتحركات في صفوف العرب طوال سنوات الانتداب، هي سياسة السلطات المتميزة واليهود ، وتزايد اعداد المهاجرين الصهاينة الى فلسطين تحت اشراف الحكومة البريطانية وبموافقتها ، فان انتفاضة ١٩٣٣ لم تخرج في أسبابها غير المباشرة عن هذا الاطار ، الا أن اضافات طرأت على الفترة الاولى من الثلاثينات هي تزايد للهجرة اليهودية أكثر من ذي قبل ــ بفعل ما اشيع عن ازدياد الضغط النازي ضد اليهود الالمان ــ .

أمام هذا الواقع كان على عرب فلسطين ان يتحركوا

باتجاه ايقاف سيل الهجـرة الصهيونيـة الى فلسطين .. فتحركت جموعهم في القدس ويافا وحيفا وفيما بعد في كافة المناطق الفلسطينية ، أعرب فيها العرب عن سخطهم على هذه التطورات الخطيرة والعمليـة في التمهيـد لقيـام الكيـان الصهيوني .. وأبدى العرب في ذلك الوقت عددا من أشكال المقاومة المادية كان منها اطلاق النار على مراكز بوليس في القدس واضرام النار في مبنى الحكومة في جنين ونسف الخط الحديدي المار بطولكرم ، مما جعل سلطات الانتداب تلجـأ الى استخدام الطائرات الحربية لاخماد الانتفاضة .

لكن ذلك الاخماد لم يخف حقيقة الموقف الوطني لعرب فلسطين الذي كان يتغذى وباستمرار من خلال موقف قومي مساند وداعم ومشارك في تأجيج النضـال ضـد الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية ..

ويتبين من سياق الاحداث ان التحرك الجماهيري لم يتوقف بالقضاء على انتفاضة ١٩٣٣ ، فبلغ هذا التحرك أوجه في ثورة ١٩٣٦ العارمة . ولابـد هنا من تناول الحركة التي مهدت لهذه الثورة والمعروفة باسم حركة القسـام .

الشيخ المناضل عز الدين القسام ، عربي سـوري ولد في جبلة ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢١ بعد صـدور حكم بالاعدام عليه لاشتراكه في ثورة الشيخ صالح العلي . وفي فلسطين ، راح القسام ينشيء خلايا المقاومة السـرية بين أبناء المنطقة الشمالية والوسطى من فلسطين مستفيدا من النقمة في صفوفهم ضد سلطات الانتـداب البريطاني لا سيما بعد ان طردت السلطات حوالي ٣ آلاف أسـرة في

منطقة مرج ابن عامر ، وحوالي ١٥ ألف أخرين من سكان وادي الحوارث ، وعددا كبيرا من أبناء الحولة .. فاعتمد القسام في حركته على قسم كبير من هؤلاء الفلاحين وعلى العمال المقيمين في حيفا ، وضم تنظيمه العناصر الطيلعية ممن كان لهم دور بارز في المظاهرات والاضرابات وغير ذلك من أشكال النضال في فترات سابقة .

طوال سنوات عديدة من الاعداد والتدريب كان القسام ينتظر حلول الظروف المناسبة لتفجير الثورة المسلحة ، وما أن جاء منتصف الثلاثينات حتى رأى القسام في هذا الوقت نضجاً يؤهل لانجاح بدايات التحرك الوطني المسلح.. فعلى صعيد القوة الذاتية امتلك القسام ورجاله من السلاح والجاهزية القتالية ما يمكنهم من البدء بالعمليات العسكرية ..

وعلى صعيد الوعي الجماهيري ، كان عرب فلسطين على استعداد تام للتعاون مع حركة القسام لانهم رؤوا في هذه الحركة ما يشبع طموحاتهم في الانتفاض ضد سياسة الانتداب البريطاني وممارساته القمعية ومحاباته للعصابات الصهيونية .

اتجه القسام صوب منطقة جنين مع حوالي ٢٤ رجلا من رفاقه في أواخر عام ١٩٣٥ ، وكان اختيار هذه المنطقة بالذات نظرا لطبيعتها الجبلية ، حيث تجد السلطات البريطانية صعوبة في التحرك لمواجهته .

وهناك عمل القسام على تحريض الفلاحين على الثورة، ثم راح يتنقل بين المناطق المجاورة .

في الرابع عشر من تشرين الثاني عام ١٩٣٥ ، قتل أحد رفاق القسام شرطيا صهيونيا وعلى أثر ذلك قامت حملة بريطانية تقدر بحوالي ٥٠٠ جندي بالتحرك باتجاه مكان تواجد القسام ورجاله ، فتمت محاصرتهم في أحراش يعبد ودارت معركة غير متكافئة بين رجال القسام وجنود الاحتلال البريطاني ، أسفرت عن استشهاد القسام في ١٩٣٥/١١/١٩ والقضاء على حركته .

من خلال نظرة موضوعية على حركة القسام يتضح ان ما أرسته من تقاليد نضالية وثورية كان في طليعة اساليب النضال المعروفة آنذاك .

فقد اعتمدت هذه الحركة منطلقات واضحة في النضال منها : وحدة اداة الثورة ، واقامة تنظيم ثوري من أصحاب المصلحة الحقيقية في الثورة أي من الفلاحين والعمال .. وتعبئة وتنظيم الجماهير ، والتخطيط العلمي والوضوح الفكري الى غير ذلك من الاسس الواجب توفرها للقيام بثورة شعبية شاملة .

عن خلفيات حركة القسام يقول الكاتب العربي الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني :

« لعل شخصية القسام تشكل في حد ذاتها نقطة التقاء رمزية لمجموعة هائلة من العوامل المتداخلة التي تشكل في مجموعها ما صار يسمى تبسيطا بالقضية الفلسطينية ف (سوريته) تمثيل للعامل القومي العربي في المعركة ، و (أزهريته) ـ دراسته في الازهر ـ تمثيل للعامل الديني الوطني الذي كان يمثله الازهر في بداية القرن . و (نضاليته)

ـ عن اشتراكه بالثورات في سورية ـ هي تمثيل لوحدة النضال العربي » .

فنوه هنا الى ان انهاء حركة القسام تنظيميا لم يكن يعني انهاءها نضاليا ، اذ استطاع عدد من رفاق القسام استئناف التحرك الثوري الجماهيري ابان ثورة ١٩٣٦ ، التي تعتبر حركة القسام بدايتها ومقدمتها الحقيقية ..

يرى بعض المؤرخين ان السبب المباشر لثورة ١٩٣٦ كان تعرض قافلة يهودية الى هجوم عربي في منطقة المثلث .. ومهما يكن من أمر ، فان وراء هذا السبب تكمن جملة من الاسباب والظروف التي تدفع للثورة ، سواء ما يتعلق منها بسياسة الاحتلال البريطاني أم بالاستفزازات الصهيونية ضد العرب .

شهدت فترة آذار ونيسان من عام ١٩٣٦ مصادمات عديدة وقعت بين القوات البريطانية والصهيونية من جانب وبين العرب من الجانب المقابل ، وتمخضت هذه المصادمات عن اندلاع ثورة دامت حتى عام ١٩٣٩ ، دخل في أوائلها المجاهد فوزي القاوقجي الى فلسطين ـ في آب ١٩٣٦ ـ وظهرت ابان ذلك الفصائل المسلحة ، وصمدت هذه الفصائل أمام مساعي سلطات الانتداب لحرمانها من جماهيرها تارة بالترغيب وتارة بالعنف والارهاب ..

انحسار المد الوطني الجماهيري في الفترة الواقعة بين ٣٦ ـ ٣٩ ، بسبب عنف الهجمة البريطانية المتعاونة مع مواقف عربية آنذاك لا يلغي حقيقة ان تلك الفترة مثلت وشهدت أعنف تجربة نضالية تراكمت فيها حدة التناقضات

بين العرب من جهة وسلطات الانتداب والصهاينة من جهة ثانية ، امتزج فيها النضال المطلبي والطبقي بالنضال القومي، وقدم عرب فلسطين خلالها حوالي ٥ آلاف شهيد ..

فترة ما بعد عام ١٩٣٩ لم تعدم استمرار اشكال النضال المتفرقة ، لكن الجماهير الفلسطينية أخفقت في تحقيق انجازات كبيرة على المستوى الاستراتيجي في مواجهة قوة الصهاينة المتعاظمة والمستندة الى دولة الانتداب ، وكذلك في مواجهة عسف السلطات البريطانية وتآمرها .. فسنوات الاربعينات كانت مسرحاً لتحركات بريطانية ــ صهيونية محمومة هيأت الاجواء لقيام الكيان الصهيوني في فلسطين وقوبلت بقوة أقل تأثيراً ..

وفي ظل الاوضاع التي عاشتها الدول العربية عامة في تلك الفترة، لم تنجح الجيوش العربية التي دخلت فلسطين لخوض المعارك ــ على عنفها ــ ان تقضي على ما يخبأ لفلسطين من مصير ، فقد كانت المؤامرة أكبر ، وبلغت ذروتها بتأسيس « دولة اسرائيل » عام ١٩٤٨ .

الفصل الخـامس

أوضاع العرب في فلسطين المحتلة ٤٨

من المتعذر فهم أوضاع عرب فلسطين المحتلة عام ٤٨ إلاّ وفق منظور يتحدد بالأمرين التاليين :

★ الاستراتيجية الصهيونية ازاء عرب فلسطين ، سواء فيما يتعلق بطمس قضيتهم ودمجهم في الكيان الصهيوني ، أو في الاساليب والممارسات الصهيونية الهادفة الى التضييق عليهم واقتلاعهم من أرضهم .

★ الموقف المبدئي لعرب فلسطين في التشبث بأرضهم ، وابراز المضامين القومية والسياسية والتاريخية في نضالهم اليومي برغم كل أشكال الاضطهاد والقمع الصهيونية .

ويتمظهر التحدي العربي للمخططات الصهيونية في صورة القدرة على الصمود وعلى افشال هذه المخططات ، الامر الذي أربك الحسابات الصهيونية الرامية عبرسياستها الاستيطانية ـ الاحلالية الى تغييب الشعب العربي الفلسطيني وجودا وتاريخا وقضية .

وتعتبر عملية دمج عرب فلسطين في الكيان الصهيوني أحد الاشكال الخطرة في الوصول الى تغييبهم .. ويتصور الصهاينة ان هذه المسألة ترتبط بقدرة الظروف الخارجية على الاسهام في تنفيذها ، لذلك يحاولون ايجاد جملة من المعطيات التي تؤول الى خلق (واقع اندماجي) لا مكان فيه للتناقض العربي الصهيوني على الصعد القومية والثقافية والسياسية ..

ان مثل هذا الواقع في المنظور الصهيوني يعني تحديدا تذويب قومية العرب في الوطن المحتل في بديل هو القومية المصطنعة ، وافراغ القومية العربية من محتواها الحقيقي ، في محاولة لابتزاز الولاء لـ « دولة اسرائيل » وليصبح النضال الفلسطيني منصباً على الجوانب المطلبية في تحقيق تكافؤ الفرص وتحسين الظروف المعيشية، مع عدم التساهل بشأن بروز أي احساس لدى عرب الوطن المحتل بالكيانية العربية الفلسطينية .

هذه الاستراتيجية الصهيونية ازاء عرب الوطن المحتل تؤطر الكيفية التي تتعامل بها المؤسسة الحاكمة في الكيان الصهيوني معهم .. وسيتضح ذلك في ثنايا تناول الاوضاع التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني في وطنه .

● الاوضاع الديمغرافية :

شهد الجزء المحتل من فلسطين عام ٤٨ تغيراً في البنية السكانية تم فيه تناقص عدد المواطنين العرب نتيجة التهجير القسري الى خارج فلسطين والى الضفة الغربية وقطاع غزة .. ويتجلى حجم هذا التغير لدى مقارنة الوضع السكاني لعرب فلسطين قبل النكبة بالوضع السائد حالياً .

يبين الجدول التالي توزع السكان وملكية الارض في أواخر عهد الانتداب البريطاني حسب ما ذكره التقرير الذي اعدته لجنة التحقيق التابعة للامم المتحدة الخاصة بفلسطين عام ١٩٤٥ .

اللواء	القضاء	توزيع الاراضي (عام ١٩٤٥) أملاك عربية ٪	حيازة يهودية ٪	أملاك أميرية ٪	السكان (عام ١٩٤٦) عرب ٪	يهود ٪	المجموع الكلي بالالوف
الجليل	الناصرة	٥٢	٢٨	٢٠	٨٤	١٦	٧٠
	بيسان	٤٤	٣٤	٢٢	٧٠	٣٠	٢٠
	طبرية	٥١	٣٨	١١	٦٧	٣٣	٥٠
	صفد	٦٨	١٨	١٤	٨٧	١٣	٦٠
	عكا	٨٧	٣	١٠	٩٦	٤	٨٠
حيفا	—	٤٢	٣٥	٢٣	٥٣	٤٧	٢٠٠
اللد	يافا	٤٧	٣٩	١٤	٢٩	٧١	٢٤٠
	الرملة	٧٧	١٤	٩	٧٧	٢٣	١٥٠
غزة	غزة	٧٥	٤	٢١	٩٨	٢	١٢٠
	بئر السبع	١٥	١	٨٤	١٠٠	—	٧٠
السامرة	نابلس	٨٧	١	١٢	١٠٠	—	٩٠
	طولكرم	٧٤	١٧	٩	٨٣	١٧	١٠٠
	جنين	٨٤	١	١٥	١٠٠	—	٧٠
القدس	القدس	٨٤	٣	١٣	٦٢	٣٨	٢٦٠
	الخليل	٩٦	١	٣	١٠٠	—	٩٠
	رام الله	٩٩	أقل من ١	أقل من ١	١٠٠	—	٦٠

هذه الاحصائيات ساهمت ،وضعها سلطات الانتداب ـوهو أمر يوحي بالشبهات التي تلفها ـ ومع ذلك نرى ان حيازة اليهود لاتزيد عن ٨ر١٤٪ من المساحة الكلية لفلسطين .

قرار التقسيم الصادر عن اجتماع الدورة الثانية للامم المتحدة بتاريخ ٢٩/١١/٤٧ تجاوز هو الاخر هذا المقدار حين خصص للدولة اليهودية مساحة أكثر من نصف مساحة فلسطين .

أما التغير النوعي لكل الصيغ السائدة ،فقد كان عام ٤٨، اذ ترتب على الاحتلال الصهيوني بقاء حوالي ١٥٦ ألف عربي فقط من أصل أكثر من مليون عربي كانوا يقيمون في الاراضي التي احتلت انذاك .

على صعيد اخر تعطي الاحصائيات « الاسرائيلية » صورة عن التطور السكاني لعرب الوطن المحتل ، اذ تذكر ان نسبة العرب كانت عام ١٩٥٠ حوالي ٢ر١٢٪ من العدد الكلي للسكان ، وان هذه النسبة ــ وبرغم موجات الهجرة اليهودية الى الكيان الصهيوني ــ وصلت في عام ١٩٧٠ الى ٦ر١٤٪ وفي العام ١٩٧٨ الى ١٦٪ من مجموع سكان فلسطين المحتلة .

وأفادت هذه الاحصائيات بأنه من خلال تقديرات حذرة ، ومعتمدة رقما للهجرة (مستقرا) على ٢٥ ألف مهاجر صهيوني سنويا ،فان **عرب فلسطين ٤٨ سيشكلون ١٨٪** من العدد الكلي للسكان في أواسط الثمانينات ، يرتفع الى نحو ١٩ ٪ في أوائل التسعينات .

هذا ويتوزع المواطنون العرب هناك على النحو التالي: ٦٠٪ منهم في منطقة الجليل ، و ٢٠٪ في منطقة المثلث ، و ٧٪ في منطقة حيفا و٧٪ في منطقة النقب ويعيش الباقون في المدن والاماكن المختلطة أي التي يقطنها عرب ويهود .

وفي أي من هذه المناطق لم تبن أية قرية عربية جديدة بالرغم من التطور الكبير الذي طرأ على الوضع الديمغرافي العربي فيها ،بل تناقص عدد القرى العربية ، **ومازال هذا العدد** معرضا للتناقص أيضا ★.

في سبيل الالمام ببعض التفصيلات نثبت هنا جدولا يبين التوزع السكاني للعرب الفلسطينيين داخل أراضي فلسطين المحتلة عام ٤٨ (بالالوف) ، حسب مكان الاقامة ، وفي فترات متباعدة .

	الالوية والاقضية	١٩٤٨	١٩٦١	١٩٧٠	١٩٧٩
	لــواء القدس	٢ر٩	٤ر٢	٥ر٣	٧ر٦
اللواء الشمالي	صفــد	١ر٩	٣	٤	٤ر٩
	طبريا	٥ر١	٧ر٩	١١ر٣	١٣ر٧
	مرج ابن عامر	٣٤ر٩	٥٣ر٥	٧٨ر٢	١٠٨ر٢
	عكا	٤٨ر٧	٧٨ر٤	١١٧ر٧	١٦٠ر١
	المجموع	٩٠ر٦	١٤٢ر٨	٢١١ر٢	٢٨٦ر٩
لواء حيفا	حيفا	٩ر١	١٨ر٦	٢٥ر٥	٣٢ر١
	الخضيرة	١٨ر٣	٢٩ر٤	٤٦	٦٦ر٧
	المجموع	٢٧ر٤	٤٨	٧١ر٥	٩٨ر٨
اللواء الاوسط	هاشارون	١٠ر٤	١٧ر٤	٢٥ر٩	٣٥ر٨
	بيتح تكفــا	٣	٤ر٧	٧ر٦	١١ر٧
	الرملــة	٢ر٦	٤ر٤	٧ر٣	١١ر٧
	رحبــوت	٠ر١	٠ر٤	٠ر٥	٠ر٦
	المجموع	١٦ر١	٢٦ر٩	٤١ر٣	٥٩ر٨
	لــــواء تل ابيب	٢ر٦	٦ر٧	٨ر٥	٩ر٩
اللواء الجنوبي	عسقلان	٢ر٤	٠ر٣	٠ر٥	٠ر٦
	بئر السبع	١٢	١٨ر٣	٢٨ر٥	٤٧ر٦
	المجموع	١٥ر٤	١٨ر٦	٢٩	٤٨ر٢
	المجمــوع العــــام	١٥٦	٢٤٧ر٢	٣٦٦ر٨	٥١١ر٢

يذكر ان عدد القرى العربية التي أزالها الصهاينة في كافة أراضي الـ ٤٨ بلغ حسب احصاءات العدو ٣٥٠ قرية عربية .

تظهر الارقام السابقة ان العرب المقيمين في الجزء الشمالي ـ الجليل وحيفا ـ من فلسطين يشكلون ٥ر٧٥٪ من مجموع المواطنين العرب في الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ٤٨ ويعود هذا الارتفاع النسبي ، اولا ، الى عامل مهم هو بقاء اكثر من ٦٢٪ من عرب المنطقة الشمالية في أراضيهم بعد النكبة ، وما يترتب ، ثانيا ، على توفر معطى البقاء في ظل التكاثر السكاني الطبيعي عندهم . وبالرغم من كل ممارسات الاحتلال الصهيوني القمعية ووضع العراقيل في وجه التزايد السكاني ، فقد حافظ عدد الفلسطينيين على تزايد مهم ، بحيث طرأ ارتفاع ملحوظ على نسبتهم الى مجموع السكان (عرب ويهود) .

ومن المؤكد ان ذلك التزايد كان يقدر له ان يكون في مستوى أعلى لولا عمليات التهجير التي تعرض لها الفلسطينيون منذ الخمسينات وحتى الان على يد الصهاينة، ففي السنوات العشر الاولى للاحتلال وصلت نسبة المهجرين الى أكثر من ٥ر١٪ من اجمالي الزيادة في عدد السكان ، واذا ما قورن هذا الامر بازدياد استقدام المهجرين الصهاينة الى فلسطين الذي وصل الى حوالي ٦٠٠٪ من مجمل الزيادة اليهودية العامة في عدد السكان ، أمكننا ادراك الحيوية التي يتسم بها الشعب الفلسطيني في ثباته وتأكيده على البقاء في مواجهة الصعوبات وعدم الاستقرار . وتعكس نسبة التكاثر للفلسطينيين منذ عام ٤٨ وحتى الان هذه السمة ..

وعلى سبيل المقارنة بلغت الزيادة في صفوف

الفلسطينيين هناك نحو ٤٢٫٨ بالالف عام ١٩٦٠ ، في حين بلغت بين اليهـود حوالي ١٨٫٤ بالالف، وفي اواسط السبعينات كانت الزيادة الطبيعية بين الفلسطينيين ٤٣٫٩ بالالف مقابل ١٧٫٢ بالالف بين اليهود .

وهكذا نرى أن نسبة الزيادة الطبيعيـة للشـعب الفلسطيني داخـل أراضي الـ ٤٨ تبلغ حوالي مرتـين وثلـث الزيادة الطبيعية لليهود .

ومع ان السلطات الصهيونية تهتم بالمواليـد اليهـود صحيا واجتماعيـا لتقليص عدد الوفيـات ، بينمـا لا يلقى الاطفال العرب مثل هذا الاهتمام في محاولة لتخفيض المعدل العام للزيادة الطبيعية الفلسطينية ، فمازال رجحان نسـبة الاطفال الذين يولدون احياء وحظ معظمهم في الاستمرارية يشكل عقبة في طريق القهر الديمغرافي الذي تتبعه سلطات العـدو .

ولقد افشـل الاصرار على الصمـود والتكاثر لـدى الفلسطينيين سياسة العدو الرامية الى تشكيل (طـوق حديدي) حول التزايد الطبيعي للفلسطينيين . والرقم ذو المغزى في هذا المجال هو تكاثر الفلسطينيين بنسبة ٤٫١٪ سنويا وانهم يتضاعفون كل ١٧ سنة ، في حين يحتاج اليهود في فلسطين المحتلة الى ٤٤ سنة لمضاعفة أنفسهم ، وهـذا يشير بوضوح الى مستوى الخصوبة الكلية ايضا في جميـع فئات عمر المرأة الام الفلسطينية بالمقارنـة مع فئات عمر المرأة الام اليهودية . وثمة مؤشر اخر في مجال التطور الديمغرافي هو ان

الشعب الفلسطيني يعتبر شعبا فتيا ، فالغالبية العظمى من الفلسطينيين في الوطن المحتل هم في سن الشباب .

في منتصف السبعينات مثلا كان معدل أعمار حوالي نصف الفلسطينيين هناك يتراوح بين سنة و ١٤ سنة ، يقابل ذلك بين اليهود مالا يزيد عن ٣٠٪ من مجموع اليهود .... ويلاحظ هنا انه لايضاهي الفلسطينيين في تلك الصفة أي شعب اخر ، ففي الولايات المتحدة مثلا يبلغ معدل أعمار ٢٨٫٣٪ من السكان بين سنة و ١٥ سنة وفي اليابان ٢٩٫٩٪ وفي فرنسا ٢٤٫٨٪ .. الخ ..

فتوة المجتمع العربي الفلسطيني اذن تتجلى بوجود نسبة عالية من الفلسطينيين داخل مجموعات العمر الشابة حيث ان ٧٥٫٦٪ منهم تقل اعمارهم عن ٢٩ عاما .

ويبين الجدول التالي توزع العرب الفلسطينيين في فلسطين المحتلة عام ٤٨ ، حسب فئات العمر ، وذلك طبقا لاحصائيات عام ١٩٧٩ :

فئة العمر	النسبة المئوية
٠ — ٤ سنوات	١٨٫٣٪
٥ — ٩ سنوات	١٦٫٣٪
١٠ — ١٤	١٣٫٥٪
١٥ — ١٩	١١٫٧٪
٢٠ — ٢٩	١٥٫٨٪
٣٠ — ٤٠	١٣٪
٤٥ — ٦٤	٨٫١٪
٦٥ وما فوق	٣٫٣٪

مثل هذه السمـــات تؤثر الى حـــد كبير في العمليـــة الانتاجية ، اذ يتضح ان قوة العمل عند الفلسطينيين تتشكل من نحو ٥٠٪ من السكان العرب اذا ما اعتبرنا ان سن العمل تمتد من الرابعة عشرة وحتى من هم في سن النصف الثاني من الاربعينات .

ان الصهاينة يشعرون بالمرارة حين التعامل مع هـــذه الحقائق ، وتزداد مرارتهم حين يتأكدون من ان زيـــادة عـــدد المواطنين الفلسطينيين هي ١٣٠٪ في كل عشرين سنة ، في حين لا تتجاوز نسبة التزايد لدى السكان اليهـــود ٤٦٪ خلال المدة ذاتها وفي ظل فرضية استقدام ٢٥ ألف مهاجر يهودي سنويا الى فلسطين أي بزيادة عن واقع الهجرة الحالي بـ ٥٪ تقريبا .

لقد جسدت الوثيقة العنصرية الشهيرة التي اعدها حاكم اللواء الشمالـــي يسرائيل كينـــغ عـــام ١٩٧٥ القلق الصهيوني من امكانية التفوق السكاني العربي مستقبلا في فلسطين عموما والجليل بشكل خاص .. فيعرض كينغ عددا من المعطيات لدى بحثه في المشكلة الديمغرافية قائلا :

« يبلغ التكاثر الطبيعي لدى السكان العرب في اسرائيل نحو ٩ر٥٪ سنويا ، مقابل تكاثر طبيعي للسكان اليهود بمعدل ٥ر١٪ سنويا .. ويصبح هذا التكاثر مشكلة حادة على نحو خاص في لواء الشمال الذي يضم عددا كبيرا من الســـكان العرب ، فقد بلغ عدد السكان العرب في منتصف ١٩٧٥ في لواء الشمال نحو ٢٥٠ الف نسمة بينما بلغ عدد اليهـــود ٢٨٩ الف نسمة » .

ويرى كينغ ان هذا التكاثر خطر على الاسرائيليين ويتهدد سيطرتهم بالذات على المنطقة ، ويؤكد ان هذا العامل يعطي العرب احساسا بالقوة والامل بأن الوقت يعمل لمصلحتهم ، ويبدي كينغ تخوفه من ان تنفذ في اواسط الثمانينات عملية (استيلاء) عربية من الناحية الديمغرافية على بعض المدن العربية أو المختلطة في فلسطين ، لهذا يحذر من امكانية طلب العرب في احدى مراحل العمل السياسي اجراء استفتاء في شمالي البلاد في الوقت الذي يشكل فيه العرب اكثرية السكان .

وكحل لهذه المشكلة يطالب كينغ بتعميق وتوسيع الاستيطان الصهيوني في المناطق التي تتصف بتواجد عربي كثيف ، في محاولة لتغيير الميزان الديمغرافي في تلك المناطق لصالح المستوطنين اليهود الصهاينة .

وطالما نحن بصدد رصد الوقائع الديمغرافية ،يسترعي انتباهنا عدم وجود مؤشرات حول امكانية انحسار أو تراجع التطور الديمغرافي لعرب فلسطين المحتلة في ظل ظروف كالظروف الحالية .. ومن المتوقع ان يزداد عددهم من ٦٠٠ ألف حاليا الى مليون عربي في أواخر هذا القرن ، وتتلخص العوامل الكامنة وراء ذلك بارتفاع الخصوبة ، والنسبة العالية للولادات ، وانخفاض معدل الوفيات .

بالنسبة للعامل الاول ، تظهر الاحصائيات الاسرائيلية ان مستوى الخصوبة عند المرأة العربية هو ٨ر٢ بالالف — أما عند اليهودية فيبلغ ١ر٣ بالالف .

وحول درو العامل الثاني (ارتفاع نسبة الولادات)

فقد ارتفعت هذه النسبة مثلا من ٣٧ر٧ بالالف عام ٧٠ الى ٤٠ بالالف عام ٨٠ ، بمعنى ان العرب ينجبون ٢٠٪ من الاطفال في « اسرائيل » ، حيث انه بين كل خمسة أطفال في اسرائيل يوجد طفل واحد عربي .

وفيما يتعلق بالعامل الثالث (انخفاض معدل الوفيات) تظهر الاحصائيات ان هذه النسبة وصلت في العام ٧٩ الى ٥ر٩ بالالف في حين كانت قبل ذلك بعشر سنوات ٨ر٨بالالف وترى الاوساط الصهيونية أن نسبة التكاثر الطبيعي عند العرب في فلسطين المحتلة عام ٤٨ ستشكل تحديا كبيرا في غضون العشرين سنة القادمة ستكون له « نتائج خطيرة » سواء بالنسبة لهوية الكيان الصهيوني أم بالنسبة للاوضاع السياسية فيه .

مهما يكن من أمر العامل الديمغرافي لايمكن ان يغري بالركون — عربيا — الى امال الوصول الى حقوق الشعب العربي الفلسطيني المشروعة مع الزمن وفق الفهم السطحي القائل : انه مع الزمن سيتحول العرب في فلسطين الى أكثرية ربما تتغلب على الاقلية اليهودية — الصهيونية ، لان المستقبل مرشح لممارسات التشريد والارهاب الصهيونية بحق الفلسطينيين ، سيما وان الصهاينة ينظرون اليهم كغرباء ينبغي طردهم . لهذا لابد من ايلاء صمود العرب في وطنهم وتغذية نضالاتهم بكافة اشكالها بمزيد من القدرة على التصدي والمقاومة .

● الاوضاع الاقتصادية :

نجم عن سياسة الاحتلال الصهيونية في مجالات

الاستيطان وانتزاع ملكية الاراضي من اصحابها العرب ، وممارسة العديد من الاجراءات القمعية والعنصرية ضد عرب فلسطين ، خلخلة كبيرة في البنية الطبقية والتركيبة الاقتصادية للشعب العربي الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال.

ومن المؤكد ان الصهاينة حين يقومون بكل ذلك انما يهدفون الى تحويل هذا الشعب الى عمال اجراء في سوق العمل الاسرائيلية ، وضرب ارتباطهم بالارض .

فتحطيم التركيبة المهنية في مختلف نواحي الانشطة الاقتصادية ، كان يغري الصهاينة بتحويل المزارعين والفلاحين العرب الى طبقة تعيش على عملها في مرافق الخدمات والفروع الاقتصادية الاخرى التي توفر للصهاينة دعم اقتصادهم دون تمكين العرب من التحكم بهذه الفروع .

وقد اولى الصهاينة اهتماما كبيرا لهذا الجانب .. ففي حين كان نحو نصف العرب في فلسطين المحتلة يعملون كمزارعين في سنوات الخمسينات ، نرى ان السنوات اللاحقة شهدت تحويلا لليد العاملة العربية الى قطاع الخدمات تحت وطأة العديد من العوامل التي وفرتها المؤسسة الصهيونية الحاكمة ، مثل مصادرة ثلث المساحات الشاسعة من الاراضي العربية ، والمضايقات على المزارعين ، والضغط باتجاه جعل الزراعة متخلفة وغير قادرة على الصمود في مواجهة التقدم الزراعي في المستوطنات الصهيونية ، وانعدام التسهيلات للزراعة العربية، وتحديد أثمان المنتوجات العربية وغير ذلك . مما يشير الى نية الصهاينة بجعل ميزان الزراعة العربية خاسرا ..

وعلى هـذا يمكن تلمس الاسباب التي جعلت نسبـة المزارعين العرب تنخفض من حوالي ٤٨٫٨٪ عام ١٩٥٥ مثلا الى ٢٢٫٤٪ في سنة ١٩٧١ ، واتجاه الايدي العاملة النازحة عن الزراعـة نحو العمل في المشاريع والمؤسسات والمرافق الاقتصاديـة في الكيان الصهيوني .

بالطبع لا يمكن القاء اللوم على العرب هناك في مثل هذا النزوح والتوجه ، لان العمل العربي في الاقتصاد الصهيوني ناجم عن اتباع خيار البقاء والتشبث بالارض برغم كل أشكال الاضطهاد والتنكيل ، واستبعاد فكرة الهجرة عـن الوطن . ذلك انه في مقياس المصلحة الوطنية والقومية العليا لا بد أن يكون لمثل ذلك البقاء والتشبث ثمن مايعتبر العمل في الاقتصاد الصهيوني جزءا منه .. من هنا لايمكن النظر الى عمل العرب الفلسطينيين في هذا الاقتصاد كمساهمة طوعيـة في بنائه ، بل ينبغي النظر اليه بشموليـة تتناول دوافعـه وأسبابه الموضوعيـة ، التي تتناقض مع معظم دوافع واسباب عمـل الاسرائيليين في اقتصاديات كيانهم .

على أن هذا يدفع للقول بأن العاملين العرب في فلسطين المحتلة يعيشون حالة اغتراب في وطنهم .. ففي حين يتوقون الى توظيف عملهم في مجالات التنمية الذاتيـة والخاصة بهم ، نراهم يضطرون أو يجبرون على العمل في الاقتصاد الاسرائيلي .

هذا ويشغل هؤلاء العمال قسما كبيرا من حجم الايدي العاملة في الاقتصاد الاسرائيلي ، ويرجع ذلك الى ارتفـاع قوة العمل البشريـة الفلسطينية وعدم كفاية اليد العاملـة الاسرائيليـة لمتطلبات التنمية في الكيان الصهيوني .

وتشير احصائيات عام ٧٩ الى ان فلسطينيي الـ ٤٨ المشتغلين داخل قوة العمل يبلغون ١٢٢ر٥ ألف شخص أي نحو ١/٥ (أو ٢٤٪) من مجموع المواطنين العرب في فلسطين المحتلـة عام ٤٨.. ويتوزعون حسب النشاط الاقتصادي كما يلي :

النشاط الاقتصادي	عدد المشتغلين العرب بالالوف
الزراعة والغابات وصيد الاسماك	١٤ر٩
الصناعة (التعدين والمصانع)	٢٦ر٣
الكهرباء والميـاه	٠ر٦
البناء والاشغال العامة	٢٦ر٥
التجارة والمطاعم والفنادق	١٣ر٦
النقل والتخزين والموصلات	٧ر٢
الخدمات المالية وخدمات الاعمال	٣ر٢
الخدمات العامة	٢١ر٣
الخدمات الشخصية وغيرها	٨ر٩
المجموع	**١٢٢ر٥ ألف مشتغل**

ان قوة العمل العربية هذه تشكل حوالي ٩٪ من مجموع المشتغلين في الاقتصاد الاسرائيلي باعتبار أن مجموع قـوة

العمل الاجمالية تساوي ١٣١٬٥١ ألف عامل منهم ١ر٧٤ ألف عامل من أبناء الاراضي المحتلــة عام ٦٧ .

ويلاحظ ان العمال العرب يتوضعون بنسب مرتفعــة في القطاعات الانتاجيــة الرئيسة في الاقتصاد الاسرائيلي ، الامر الذي يخلق حالة ليس من السهل فيها الاستغناء عن قــوة العمل العربية .. أو لنقل على الادق ليس مرغوبا من قبــل الاسرائيليين ارتفاع عدد العمال العرب فوق (الخط الاحمر) الذي يضعونه ، ومع ذلك يسعون للتعامل مع هذا الــواقع بما يمكنهم من السيطرة على العمل العربي وتوظيفه لصــالح الاقتصاد الاسرائيلي ككل .

ويعتبر الاسرائيليون ان ما يخفف من (شر العمل العربي) جملة الخصائص التي يتمتع بها هذا العمل وأهمها امكانيــة تلاؤم وتكيف قوة العمل العربيــة مع نوع العمل وطبيعتــه وارتفاع الطاقة الانتاجيــة لدى العمال العرب اضافــة الى تدني اجورهم بالمقارنة مع أمثالهم الاسرائيليين ، ومن ثــم الوضع القانوني والسياسي للعامل العربي لجهة عدم وجود (حصانة) كتلك التي يوفرها الهستدروت للعمال اليهود .

ان مثل هذه الخصائص لا تلغي بالطبع معاناة العمال العرب من الاضطهاد القومي والطبقي على يد الصهاينة ، فسياسة الاحتلال لا يمكن الا أن تكون سياسة احتلال بمعنى الكلمــة

وفي هذا الصدد لا تكتفي السلطات الصهيونيــة بخنق الحريات السياسية والحؤول دون ممارسة شعبنا بمختلف شرائحه لحقه في تقرير مصيره ، وبقمع كل أشكال النضــال الوطني ، فتمارس السلطات سياسة الاضطهاد الاقتصــادي والطبقي والتمييز العنصري ضد العمال العرب .. وتتمثــل

هذه السياسة بنوعين من المضايقات هما :

آ ـ مضايقات اقتصادية من كون القوانين التي تتعلق بالعامل الاسرائيلي لاتشمل العامل العربي ، كالاجازات السنوية ، والتأمين الاجتماعي والصحي .. أضف الى ذلك ان الحسميات والضرائب بحق العمال العرب من أبناء الاراضي المحتلة عام ٦٧ على وجه الخصوص قد تصل الى ٥٠٪ وكذلك خصم الاجور عن التغيب الاضطراري أو باذن ، بعكس العامل الاسرائيلي .

ب ـ **مضايقات نفسيةأو تمس بالكرامةالشخصية ، فبينما** تحاول السلطات الصهيونية الحفاظ على العامل **اليهودي ـ الاشكنازي خاصة ـ وتمكينه من ممارسة** عمله دون التعرض له بالاهانة ، تلجأ هذه السلطات الى زرع الاحساس بالدونية في نفوس العمال العرب ، والتعامل معهم بأساليب فظة وتوجيه الاهانات اليهم .

هذا **ويعبر الاضطهاد الطبقي بحق العمال العرب** عن نفسه من خلال عدد من المفرزات منها أن أجر ساعة العمل الواحدة بالنسبة للعربي قد تصل في بعض الفروع أقل من نصف أجر ساعة العمل بالنسبة لليهودي .. ففي سنوات السبعينات كانت نسب اجر العامل العربي كالتالي : ٦٩٪ في الزراعة ، و ٦١٪ في البناء ، ٤٧٪ فقط في الصناعات ، مقارنة مع الاجر الاعتيادي للعامل الاسرائيلي ..

وبالرغم من ذلك كله نرى ان خيار الصمود والبقاء في الوطن هو الخيار الاهم والمتبع من قبل العرب الفلسطينيين في أراضي ٤٨ .

● ـ الاوضاع الاجتماعية :

ان مجمل نواحي التمييز والضغوط الاقتصادية التي

يعاني منها الشعب العربي الفلسطيني في وطنه ، جعلت الجزء الاكبر منه في حالة فقر مدقع .. حيث تنعدم نسبة العرب الذين يتمتعون بمستوى دخل مرتفع جدا ، مقابل ارتفاع في نسبة وجود العرب ضمن مستويات الدخل المنخفض .

فاذا قسمنا سكان فلسطين المحتلة (يهودا وعربا) الى عشرة أقسام من ناحية المداخيل تتدرج من الفقر المدقع الى الغنى الفاحش ، لوجدنا أن العرب يتمركزون في الاعشار الخمسة الاولى أكثر مما يتمركزون في الاعشار الخمسة الاخيرة حتى ان العُشرَين الثامن والعاشر ـ أي الاكثر غنى ـ لايضمان أي عربي ..

وفيما يلي جدول يبين تقسيم السكان (اليهود والعرب) في الكيان الصهيوني حسب المداخيل الى عشرة أقسام ـ وذلك في النصف الثاني من العام ١٩٨١ استنادا الى ما أوردته صحيفة يديعوت أحرونوت الصهيونية في ٨١/٧/٢٤ ـ :

العشر	يهود (٪)			عرب (٪)
	اشكناز	مواليد اسرائيل	سفارديم	
التحتي	١٨ر٣	٨ر٧	٥٥ر٥	١٧ر٥
الثاني	٣٢ر٦	١٠ر٢	٤٧ر٨	٩ر٤
الثالث	٣٥	١٤ر٣	٤٥ر١	٥ر٦
الرابع	٣٩	١٣ر٩	٤٥ر٣	١ر٨
الخامس	٤٤ر٩	١٨	٣٣ر٥	٣ر٦
السادس	٤٦ر٧	١٧ر٧	٣٣ر٥	٢ر١
السابع	٥٢ر٣	٢٧ر٧	١٩ر٦	٠ر٤
الثامن	٥٤ر٦	٢٨ر٤	١٧	ـ
التاسع	٦١ر٢	٢٩ر٦	٨ر٩	٠ر٣
العاشر	٧٠ر٢	٢٤ر١	٥ر٧	ـ

ومن الملاحظ انه رافق هذا التدني في مستوى المعيشة في الوسط العربي اتجاه الايدي العاملة نحو المدن وغيرها من « التجمعات الحضرية » الامر الذي ضاعف من مشكلة تقلص عدد الفلاحين والمزارعين العرب .

وتظهر احصائيات عام ١٩٧٩ ان عدد العرب في فلسطين المحتلة ٤٨ المتمركزين في المدن والتجمعات الحضرية يبلغ نحو ٣١٢٫٣ ألف نسمة ، أي بنسبة ٦١٫١٪ من مجموع المواطنين العرب ، في حين بلغ عدد سكان الارياف ــ القرى الكبيرة والصغيرة والمستوطنات ومضارب البدو وغيرها ــ ١٩٨٫٩ ألف نسمة أي بنسبة ٣٨٫٩٪ من مجموع المواطنين العرب .

على أن من أكثر مظاهر القهر الاجتماعي المطبق بحق فلسطينيي الـ ٤٨ في وطنهم ، مايتعرضون له في مجالات السكن والتعليم والضمان الصحي وغير ذلك ..

اذ تعتبر المشاكل المتعلقة بالبناء والسكن في الوسط العربي داخل الوطن المحتل احدى أوجه التجسيد العملي للعنصرية الصهيونية ، ولا تخضع هذه المشاكل لا عتبارات فنية أو ادارية كما تدعي السلطات ، وانما ترجع في جذورها الى الابعاد السياسية والاستراتيجية في نظرة الصهاينة لعرب فلسطين المتشبثين بأرضهم .

واذا كانت الحركة الصهيونية قد وضعت في مقدمة أهدافها احتلال الارض وتوطين المهجرين اليهود من دول العالم فيها ، فان عمليات التضييق والحصار على عمليات البناء في القرى والمناطق العربية لا تخرج عن اطار ذلك الهدف .

ونذكر هنا مرة ثانية ان التطور الديمغرافي الكبير للفلسطينيين في أراضي الـ ٤٨ ، لم يرافقه ارتفاع مناسب في الانشاءات السكنية لاستيعاب الزيادة البشرية ، ولم تبن أيه قرية جديدة ، بل مازالت القرى العربية البالغ عددها نحو ١٠٥ قرى تعيش أوضاعا متردية ومعرضة للخراب والزوال .

وتتخذ « الحرب الاسرائيلية في مجال السكن » في الوسط العربي أشكالا منظمة ..

فوزارة الاسكان الاسرائيلية لا تكتفي بتخصيص نسبة ضئيلة جدا ـ لا تتجاوز ١ ٪ ـ من ميزانيتها لتمويل عمليات البناء في المناطق العربية، وانما تحاول فرض قبضتها الحديدية على حاجات التوسع السكني العربي .. ويمكن تلخيص جملة المشاكل التي تعاني منها القرى العربية في مجال السكن جراء سياسة سلطات الاحتلال ، كما يلي :

آ ـ عدم وجود مخططات تنظيمية للقرى العربية فمن أصل ١٠٥ قرى عربية لا توجد خطط هيكلية منظمة سوى لخمس قرى فقط .

ب ـ تشدد السلطات في منح تراخيص بناء مع قيام السلطات بهدم البيوت التي تبنى دون ترخيص ، وكذلك هدم الكثير من البيوت القائمة بحجة وجودها خارج حدود التنظيم .

ج ـ عدم ترخيص قسائم أرض للبناء وارتفاع أسعار الارض ووضع قيود على مستلزمات الابنية مما يشكل عائقا كبيرا أمام التوسع السكني .

د ــ اعتماد سلطات الاحتلال (مبدأ المقايضة) الرامي الى سرقة أراضي العرب ، حيث تفرض كشرط لموافقتها على طلب من يريد البناء خارج القرية ، ان يتنازل العربي عن أراض زراعية قد تعادل حوالي ٢٠ ضعفا من الاراضي التي تخصص للبناء .

وعلى صعيد المدن الخمس المختلطة ــ حيفا ، يافا ، عكا تل أبيب ، اللد ، الرملة ــ تعمل السلطات الصهيونية على دفع الاحياء العربية فيها الى طريق التضاؤل والزوال ، سواء من ناحية وجودها المادي أم من ناحية طابعها العربي .. ففي عكا مثلا يرحل السكان من الجزء العربي لان غالبية أبنيته عتيقة ومنها ما تعرض للانهيار ، الذي يهدد أيضا القسم القائم حاليا ، دون أن تسمح السلطات ببناء منازل جديدة بدلا عنها ، بل ويتحرك الاسرائيليون باتجاه الضغط على السكان العرب لبيع منازلهم والرحيل الى المناطق المجاورة .

ويعطي وضع مدينة الناصرة ــ عاصمة العرب في الجليل ــ صورة عن أوضاع التجمعات العربية على امتداد الوطن المحتل . فمنذ عام ١٩٦٦ لم تقم وزارة الاسكان الاسرائيلية ببناء أية شقة سكنية فيها ، مع العلم أن هذه المدينة تتطلب زيادة سنوية تتراوح بين ٤ ــ ٥ آلاف شقة لتلبية احتياجات الحد الادنى من شروط السكن .

.. لقد تمخض عن هذه الاوضاع الصعبة التي يمكن تعميمها على كافة القرى العربية والمدن المختلطة اكتظاظا سكانيا يرتفع الى مستوى الضائقة الحقيقية . أما المستوطنون

الصهاينة فيعيشون في « بحبوحة » اذا ما قيس واقعهم السكني بالواقع السكني في الوسط العربي .

ويبين الجدول التالي توزع العائلات من ناحية عدد الافراد بالغرفة الواحدة في القطاعين العربي واليهودي — وفق احصائيات الفترة الاخيرة — .

عدد الاشخاص في الغرفة الواحدة	النسبة المئوية في الوسط اليهودي	النسبة المئوية للعرب من المجموع الكلي
شخص واحد	٤٣ر٦٪	١٥ر٤٪
شخصان	٤٠ر٤٪	٢٣ر٩٪
ثلاثة أشخاص	٧٪	١٢ر١٪
أكثر من ثلاثة أشخاص	٩٪	٤٨ر٦٪

.. يوضح الجدول السابق ان أكثر من ٦٠٪ من العرب يقيمون بمعدل ٣ أشخاص أو أكثر في الغرفة الواحدة ، بينما يقيم بنفس هذا المعدل في الغرفة الواحدة ١٦٪ فقط في الوسط اليهودي .. ويتجسد هذا التفاوت أكثر بملاحظة

ان نسبة اليهود الذين يسكنون بمعدل شخص واحد في الغرفة تعادل ٣ أمثال نسبة العرب من نفس الفئة .

وتعتقد السلطات الصهيونية انها بتكريس هذه الاوضاع السكنية الصعبة انما تضطر العرب للتفكير في التخلي عن أرضهم الزراعية أو التي يقيمون فيها والتحول الى

مستخدمين هامشيين في سوق العمل في المدن والمستوطنات الصهيونية ، وبالتالي تحويلهم الى اشخاص يمكن التخلص منهم بسهولة ..

ولقد كان القانونان اللذان صادقت عليهما « الكنيست » في النصف الاول من عام ١٩٨١ ، محطة في مسار القوانين الصهيونيةالعنصريةاذ صدر في شباط من العام المذكور قانون يدعى « قانون طرد الغزاة من أراضي الدولة »★ ، وفي نفس الفترة أصدرت « الكنست » قانوناً يقضي بحرمات أي عربي يشيد منزلا غير مرخص من خدمات المياه والكهرباء والمجاري وغير ذلك .

ولا تعتبر الاوضاع التعليمية للعرب في الوطن المحتل أحسن حالا من أوضاع السكن .

ومن حيث المبدأ ، لا يعدّ الابقاء على التعليم العربي لابناء الشعب الفلسطيني في أراضي الـ ٤٨ ، تساهلاصهيونيا في الحفاظ على مقومات الشخصية العربية الفلسطينية ، وانما ينبع من اعتبارين :

ــ أولهما ، عجز سلطات الاحتلال غن منع العرب من تلقي العلم ، لاسباب خارجية عن ارادة الصهاينة .

ــ وثانيهما ، وهو محاولة توظيف تعليم العرب ــ كشر لا بد منه ــ بما (يضمن) تذويب الروح العربية الفلسطينية ضمن الواقع الذي فرضه الاحتلال . بدورها

★ أي ان السلطات الصهيونية تنظر للعرب المقيمين في أراضيهم منذ مئات بل آلاف السنين على انهم « غزاة داخليون » .. والمفارقة ان السلطات تعتبر المهاجر الصهيوني الى فلسطين مواطنا أصليا !!

ساهمت نضالات عرب الوطن المحتل في الحؤول دون تحقيق الاهداف الصهيونية الرامية الى جعل عرب فلسطين كماً مجهلا يسخّر في خدمة التجمع الاستيطاني الصهيوني ، فاخترقت هذه النضالات بعض (الخطوط الحمراء) التي رسمتها سلطات الاحتلال للحد من تنامي القدرات التعليمية.

الا ان التعليم هناك يعاني خللا واضحاً ، يمثّل احدى البصمات التي تركها الاحتلال الصهيوني على أوضاع العرب في الوطن المحتل .

ويبدو هذا الخلل عبر مقارنة الارقام المتعلقة بالوضع التعليمي العربي مع مثيله الاسرائيلي ، اذ تستوقفنا المعطيات التالية :

– ان التعليم الالزامي ★ يغطي ٧ر٨١٪ من السكان في الوسط العربي ، بينما يغطي ٩٩٪ في الوسط اليهودي .

– ان نسبة ٥ر٣٦٪ من العرب فوق سن ١٤ أميون ، أما نسبة اليهود الاميين فوق هذه السن فهي ٩٪ .

– ان ٨٪ فقط من العرب يمكنهم حيازة الشهادة الثانوية ، بينما تصل نسبة اليهود الذين ينالونها الى ٢٤٪ .

– دلت احصائيات عام ١٩٧٧ أن نسبة الرسوب في المدارس العربية الابتدائية تبلغ ٤٠٪ بينما هي في المدارس اليهودية ٢ر٢٢٪ .

★ أوجد هذا القانون عام ١٩٤٩ وتم بموجبه دمج نظام التعليم العربي في نظام التعليم الاسرائيلي .

ـ ان نسبة عدد المدارس الى عدد السكان في الوسط العربي تعادل أقل من ربع مثيل ذلك في الوسط اليهودي .

صحيح ان المعطيات الرقمية السابقة تدل ظاهريا على انخفاض نسبة المتعلمين لدى العرب الفلسطينيين في اراضي الـ ٤٨ مقارنة بالنسبة بين الاسرائيليين ، لكنها بمعنى أعمق تعكس واقع السياسة التعليمية التي أوجدتها سلطات الاحتلال .. ويمكن القول ان هذه السياسة ليست تعليمية بقدر ما هي سياسية تفريغ التعليم من محتواه ، وملئه بكل عوامل القصور الفكري والتشتت الثقافي .

ويخضع الواقع التعليمي العربي الى رقابة جهات متعددة في المؤسسة الحاكمة في الكيان الصهيوني، فبالاضافة الى تدخلات « ضابط الامن » في الجهاز المسمى « دائرة التعليم العربي بوزارة المعارف الاسرائيلية » تمارس الجهات المسؤولة عن وضع وتسييس المناهج عمليات تخريب ثقافية تحاول صهينة الفكر وتحريف التاريخ العربي ، كما تحاول الجهات الادارية في المدارس ، ووزارة المعارف ، تشجيع ظاهرة التسرب في مختلف مراحل الدراسة ، وتقليص عدد الطلاب الذين يصلون الى نهاية المرحلة الثانوية ، والسعي للتقليل من حملة الشهادات العليا لما لهم من دور سياسي

أراضي غير مزروعة	٣١٠٣ كم٢
أراضي زراعية بعلية	١٤٩٢ كم٢
أراضي مشجرة (باستثناء الحمضيات)	٦٣١ كم٢
أراضي مرويــة	٢٣ كم٢
مواقع المــدن والقرى	٣٣ كم٢
المجمــوع	**٥٥٥٥ كم٢**

يلاحظ من الارقــام السابقــة ان الزراعــة في الضفة الغربية كانت تعيش واقعاً متخلفا بالنظر لان المساحــات المزروعة أو القابلة للزراعة لم تزد عن ثلث أراضيها .

وبعد خضوع الضفة الغربية للاحتلال الصهيوني عام ٦٧ ، قامت السلطات بشتى أعمال القهر والتنكيل بما في ذلك مصادرة الاراضي ، وكان من نتائج هذه السياسة تقلص رقعة الاراضي الزراعية (بسبب الاستيلاء الاسرائيلي عليهــا أو مصادرتها لبناء المستوطنات الصهيونية) ، فانخفض الناتج القومي العام من ٣٥٪ في منتصف الستينات الى نحو ٢٥٪ في منتصف السبعينات ، وتناقص عدد العاملين في الزراعة بنسبة ١٤٪ .

● ـ الاوضاع الديمغرافية :

على أثر الاحتلال الصهيــوني لفلسطين عــام ٤٨ ، استقبلت الضفة الغربية نحو ٤٣٪ ★ من الــذين هجرّوا

★ حسب احصائيات وكالة غوث وتشغيل اللاجئين « الاونروا » .

وطردوا من منازلهم ، أي حوالي ٢٠٠ ألف نسمة ؛ في حين بلغ مجموع سكان الضفة في ذلك العام حوالي ٧٤٠ ألف نسمة .. وهكذا فان نسبة اللاجئين الى مجموع سكان الضفة الغربية تساوي ٢٧٪ تقريبا .

وقد توزع هؤلاء اللاجئون (الـ ٢٠٠ ألف) حسب المناطق التي أقاموا فيها ، كما يلي :

القضاء	النسبة المئوية
نابلس	٢٣ر٨٪
رام الله	١٧ر٥٪
الخليل	١٦ر٩٪
أريحا	١٢ر٧٪
بيت لحم	١٠ر٤٪
القدس	٨ر٥ ٪

لقد ترتب على ذلك تشكيل اللاجئين لاكثر من نصف مجموع السكان في بعض المناطق في الضفة الغربية ، ففي منطقة أريحا مثلا وصل عدد اللاجئين الى حوالي ٨٠٪ من مجموع السكان في أوائل الخمسينات ، وفي كل من منطقتي رام الله وبيت لحم شكل اللاجئون حوالي ٥٠٪ من مجموع السكان فيهما .

ترفقت نكبة ٤٨ مع هجرة ملحوظة الى الضفة الشرقية (الاردن) سواء من أبناء ٤٨ أو من أهالي الضفة الغربية الاصليين واللاجئين .. واستمرت هذه الهجرة بعد الالحاق الذي تم للضفة الغربية بالضفة الشرقية ، والذي دخل حيز التنفيذ السياسي والتشريعي والتنفيذي في أواسط عام ١٩٥٠ . وقد نجم عن هذا الالحاق تغير ديمغرافي حيث أصبح **الاردن ثلاثة أمثال عدد سكانه قبل الخمسينات** ، وشكل الفلسطينيون ما يقارب من ثلثي سكان الاردن .. وبشكل عام أصبح التركيب السكاني في الاردن كما يلي :

السكان الاصليون في الاردن	٣٢٪
أهالي الضفة الغربية	٣٦٪
اللاجئون من أراضي الـ ٤٨	٣٢٪

في سياق دراسة المسائل المتعلقة بالفلسطينيين في الضفة الغربية يستوقفنا معطى الزيادة الطبيعية التي يستند اليها التطور الديمغرافي للسكان ، كما يستوقفنا ارتفاع معدل الشباب في هذا المجتمع .

ففي أواخر العام ١٩٦٧ كان عدد العرب المقيمين في **الضفة الغربية نحو ٦٥١ر٤ ألف نسمة** ووصل هذا العدد الى ٨٠٦ر٢ ألف نسمة في أواخر عام ٧٩ بواقع زيادة طبيعية كانت عام ٦٨ نحو ١١ر٧ ألف نسمة في حين بلغت عام ٧٩ وحده نحو ٢١ ألف نسمة .

ويمكن تصنيف مجموع السكان في الضفة الغربية حسب فئات العمر على النحو التالي: ــ احصاءات عام ٧٩ــ .

فئـــة العمر	العدد بالالوف
٠ ــ ١٤	٣٦٣ر٦
١٥ ــ ٢٩	٢٣٢ر٥
٣٠ ــ ٤٤	٩٤
٤٥ ــ ٦٤	٨٤ر٧
٦٥ ومافوق	٣١ر٤
المجمــوع	**٨٠٦ر٢**

يلاحظ من الجدول السابق ان نسبة الاشخاص الذين يبلغون الخامسة والاربعين وما فوق من أبناء الضفة الغربية لا تزيد عن ١٤ر٥٪ ، بينما تبلغ نسبة الاطفال واليافعين من سنة حتى ١٤ عاماً أكثر من ٤٥٪ ، وتبلغ نسبة الشباب ما بين ١٥ ــ ٢٩ عاما نحو ٢٨ر٨٪ ، ونسبة الذين تتــراوح أعمارهم بين الثلاثين والخامسة والاربعين ١١ر٦٪ .

وهكذا يظهر بشكل جلي ان مجتمع الضفة الغربية يتماثل مع مجتمع فلسطين المحتلة ٤٨ لجهة فتوته وشبابـــه ، وهي سمة تترك آثارها على مجمل النواحي الاقتصـــادية والاجتماعية والسياسية .

● الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية :

تعرضت اقتصاديات الضفة الغربيـــة الى ارباكـات متلاحقة منذ نكبة ٤٨ ، فعلى أثر هذه النكبة فقدت الضفـــة قسما كبيرا من مصادرها الاقتصادية في مجالي الموارد ومراكز الانشطة ــ كالموانيء والمرافق العامة ــ ، باعتباران الضفة الغربية كانت تشكل مع باقي الاراضي الفلسطينية وحـــدة

عضوية ترتبط فيما بينها بروابط قوية على الصعدالاقتصادية والسياسية والجغرافية والاجتماعية .. الخ .

وقد انعكست ظروف ما بعد النكبة سلباً على الجماهير الفلسطينية في الضفة ، فكانت للاحتلال نتائج مدمرة على مختلف الشرائح السكانية في هذه المنطقة .. وبالاضافة الى فقدان أهالي الضفة لقسم كبير من أراضيهم بسبب الاحتلال، فقد خسر العديد من هؤلاء الاهالي أيضا مصدر رزقهم .

وتبين المعلومات التالية مساحة مختلف مناطق الضفة الغربية ونسبة الاراضي التي خضعت للاحتلال عام ٤٨ :

المنطقــة	**المساحة (بالدونم) بآلاف الدونمات**	**نسبة الاراضي التي استولى عليها الصهاينة عام ٤٨، الى المساحة الكلية**
الخليـــل	٧٠٩ر٦٩٩	٣٠ر٩٪
جنـــين	٣٣١ر١١٠	٦٣ر٣٪
نابلس	٣٢٧ر٩١٢	٦ر٧٪
طولكـــرم	٢٦٧ر٤٢٤	٥٩ر٢٪
القـــدس	٣١ر١٠٧	٣٠ر٣٪
بيت لحم	٣٠ر٧٤١	٣٢ر٥٪
رام الله	٢٨ر٦٤٧	٢٠ر١٪

يتبين من الارقـــام السابقة ان نحو ٣٨٪ من أراضي الضفة الغربية أصبحت داخل حدود الـ ٤٨ ، واقترن هذا الواقع الجديد مع خسارة ربع ابناء الضفة لمصـــادر رزقهم من أرضهم التي استولى عليها الصهاينة ، أو مـــن بقيـــة

المناطق الفلسطينية .. وفيما يلي جدول يشير الى حجم هذه الخسارة :

الحالة	السبب	عدد الاشخاص (بالالوف)
فقدان الدخل	فقدان الارض	٨٠
	فقدان العمل داخل أراضي الـ ٤٨	٢٠
	فقدان العمل في الوظائف الحكومية البريطانية	٢٠
المجموع		١٢٠ الف شخص

كان مثل هذا الوضع كفيلا بالاسهام في تعميق الشرخ الذي تعرضت له الجماهير الفلسطينية وازدياد شدة التدمير في التشكيلات الاجتماعية والسياسية ، حيث وجهت ضربة قوية للعلاقات بين ابناء الشعب الواحد في كافة مناطق تواجده ، كما ضعفت الروابط المادية بين الشعب وبين الارض التي اصبحت أجزاء كبيرة منها تحت وطأة الاحتلال .

خضوع الضفة الغربية بكاملها للاحتلال الصهيوني في عدوان عام ٦٧ أدى بدوره الى تفاقم المشكلات الاقتصادية ، حيث تناقصت نسبة الاراضي المزروعة ، وسلبت مساحات شاسعة من الاراضي من اصحابها لبناء المستوطنات ،وعملت

السلطات على تقويض أركان المشاريع الصناعية المحلية وجعل الضفة الغربية سوقا لاستهلاك البضائع الاسرائيلية ، كما عملت السلطات على استخدام اليد العاملة في فروع الاقتصاد الاسرائيلية على حساب الانشطة والتنمية الاقتصادية المحلية.

ويلاحظ ان السلطات الصهيونية استقدمت ـ ويشاركها في ذلك الجهات غير الرسمية ـ من الضفة الغربية أكثر من ثلث القوة العاملة فيها .. حيث بلغ عدد المشتغلين من أبناء الضفة عام ٧٩ داخل حدود فلسطين المحتلة ٤٨ حوالي ٨ر٣٩ ألف مشتغل ، بينما يعمل داخل الضفة حوالي ٤ر٩٢ ألف مشتغل ..

ويتوزع المشتغلون من العرب الفلسطينيين حسب النشاط الاقتصادي ـ بغض النظر عن مكان عملهم ـ حسب احصائيات ١٩٧٩ على النحو التالي :

النشاط الاقتصادي	المشتغلون (بالالوف)
الزراعة والغابات وصيد السماك	٤ر٣٣
الصناعة (التعدين والتصنيع)	٣ر٢٤
التشييد (البناء والاشغال العامة)	٩ر٢٩
التجارة والمطاعم والفنادق	٧ر١٦
النقل والمواصلات والتخزين	٩ر٥
الخدمات العامة	١ر١٧
مجالات اخرى	٥ر٥
المجموع	٨ر١٣٢ ألف مشتغل

هذا وتؤثر السياسة الصهيونية الى حد ما بمثل ذلك التوزع ، ويهم السلطات ان تحول دون نشوء صناعة متطورة أو زراعة لاتغذي السوق الاسرائيلية .

كما يهم السلطات ان تكون الضفة الغربية ـ وقطاع غزة أيضا ـ سوقا لتصريف المنتجات الاسرائيلية .. وتشير احصائيات العدو ان حجم الصادرات الى المناطق المحتلة في تصاعد مستمر ، وقد قفزت في السنوات السبع الاولى للاحتلال من ٣٪ من صادرات العدو العامة عام ٦٧ الى ١٤٪ من صادراته عام ٧٤ ، مما يعني بان المناطق المحتلة تساعد على حل مشكلة اقتصادية صعبة في الكيان الصهيوني هي ميزان التجارة السلبي ..

يضاف الى ذلك ان السلطات الاسرائيلية قامت بالسيطرة على التجارة الخارجية للمناطق المحتلة بحيث أصبح ٩٠٪ من واردات هذه المناطق « اسرائيلية المصدر » وحوالي ثلثي صادراتها تسوق في الكيان الصهيوني .

ولقد كان قطاع الزراعة في الضفة الغربية من اكثر القطاعات الاقتصادية تأثرا بالاحتلال ، اذ يضغط العدو باتجاه تقليص عدد العاملين في هذا القطاع ، وابعاد أبناء الضفة عن الانصراف الى انتاج المحاصيل التي من الممكن ان تؤدي الى الاكتفاء الذاتي .

ويصب المسعى الاسرائيلي في ضرب الزراعة في الضفة في هدف عام هو قطع الرابطة المادية بين الارض وبين سكانها العرب الفلسطينيين .

راحت السلطات تعمل على حرمان الطلاب من حقهم في التحصيل العلمي ، اذ كانت تلجأ الى طرد الطلاب من المدارس لابسط الاسباب او نقل العديد منهم الى مدارس بعيدة عن اماكن اقامتهم ، والى تعميق ظاهرة التسرب من المدارس خصوصا في الصفوف الدنيا .

على سبيل المثال ، كان عدد طلاب الصف الاول الاعدادي في العام ٦٩/٧٠ نحو ١٢٩٣٤ طالبا ، لكن لم يبق على مقاعد الدراسة الى المرحلة الثانوية سوى ٦٥٨٣ طالبا .

اما بالنسبة للمناهج التعليمية في مدارس الضفة الغربية ، فيمكن القول ان هناك تشويها فرض على طبيعة المادة الدراسية ، في نفس الوقت الذي كانت السلطات تصدر أوامرها العسكرية بمنع تدريس الكتب المقررة سابقا ، وتمنع تداول الكتب الوطنية والقومية في الاسواق .

وعلى صعيد الخدمات الصحيحة ثمة مشكلة ماثلة هي ان المراكز الصحية في المدن والعيادات الريفية عاجزة عن تلبية متطلبات السكان المتعاظمة .. فمنذ العام ٦٧ لم تسمح السلطات الصهيونية ببناء أي مشفى ، بل حولت السلطات مثلا مشفى الشيخ جراح في القدس الى مقر لوزارة الشرطة الاسرائيلية ، ووضعت العقبات امام انجاز مشفى اخر كان في طور الانشاء في منطقة نابلس .

وبالنسبة للعيادات الطبية فقد انخفض عددها من ٢٢١ عيادة قبل عام ٦٧ الى ١٥٧ عيادة في ظل الاحتلال .

ويظهر التمييز العنصري بجلاء من خلال المخصصات

المالية التي وضعتها السلطات الصهيونية للخدمات الطبية في الضفة ، فلم تزد مثلا عن ٩ ملايين ليرة اسرائيلية في عام ٧٣ في حين كانت ميزانية مشفى اسرائيلي واحد فقط في صرفند تصل الى ١٥ مليون ليرة اسرائيلية .

ان سياسة القهر الاقتصادي والاجتماعي التي تتبعها سلطات العدو بحق عرب الضفة الغربية ، مثلما في بقية المناطق المحتلة ، فاقت في حقدها وعنصريتها حتى سياسة النازيين بحق الشعوب التي وقعت تحت وطأة احتلالهم .

★ ثانيا ، قطاع غزة :

تبلغ مساحة قطاع غزة نحو ٣٦٧ كم٢ أي مايعادل ٣ر١ ٪ من مساحة فلسطين الكلية ، ويقيم فيه ٤٥١٤٠٠ نسمة تقريبا حسب تقديرات عام ١٩٨١ .

قبل الاحتلال الصهيوني لفلسطين كان قطاع غزة جزءا من لواء غزة ــ اللواء الجنوبي ــ وقد احتل الصهاينة عام ٤٨ غالبية اراضي اللواء ، وفيما بعد خضع للادارة المصرية .

لم يكن للقطاع دور اقتصادي كبير نظرا لقلة المساحات المزروعة ، وافتقاره الى مصادر المياه الكبيرة ، ولتدني مستوى الصناعة فيه ، فضلا عن امتلاك غالبية الاراضي فيه من قبل الاقطاعيات التي سعت لان تكون موارد القطاع في خدمتها الذاتية ولمصلحتها بالدرجة الاولى ، كما لعب التفاوت بين الكثافة السكانية وبين ضعف الموارد المتاحة دورا ملحوظا أيضا في عدم نشوء اقتصاد نام او يفي بحاجات السكان .

القطاع الى العديد من المشاكل الاقتصادية ، منها انحطاط مستوى الانتاج الزراعي والصناعي وغير ذلك .

وبرغم صغر مساحة القطاع ، فقد انخفضت نسبة مساحة الاراضي المزروعة بسبب التضييق الذي اتبعته السلطات الاسرائيلية في استهلاك المياه ، واستنزاف العمال من القطاع أي داخل حدود الـ ٤٨ ، والتوسع في بناء المستوطنات الصهيونية . كما غرضت السلطات الاسرائيلية قيودا على الصناعة ، وتناقص اسهامها في مجمل الانتاج القومي العام ..

وساهمت السياسة الاسرائيلية في غرض طريقة توزع العمال على الفروع الاقتصادية ، وعلى سبيل المثال ارتفعت نسبة العاملين في فرع البناء فوصلت الى اكبر نسبة من بين كافة الفروع الاقتصادية الاخرى ..

فيما يلي جدول يبين عدد المشتغلين (بالالوف) من ابناء قطاع غزة موزعين حسب النشاط الاقتصادي ـ احصائيات عام ١٩٧٩ـ :

النشاط الاقتصادي	العدد (بالالوف)
الزراعة والغابات وصيد الاسماك	١٦ر٢
الصناعة (التعدين والتصنيع)	١٥ر٨
التشييد (البناء والاشغال العامة)	١٨ر٣
التجارة والمطاعم والفنادق	١٠
النقل والمواصلات والتخزين	٥ر١
الخدمات العامة	٥ر٦
مجالات أخرى	٤ر٦
المجموع	٧٩ر٦ الف مشتغل

هـــذا ويمتص الاقتصاد الاسرائيلي داخل حـــدود ٤٨ قسما كبيرا من قوة العمل الخاصة بقطاع غزة .. فمن أصل العدد السابق ـ ٧٩٫٦ الف مشتغل ـ يعمل داخل قطـاع غزة ٤٥٫٥ ألف مشتغل ويعمل القسم الباقي أي ٣٤٫٣الف مشتغل داخل حدود فلسطين المحتلة ٤٨ .

اوضاع العمال مـــن ابناء قطـاع غزة في الاقتصـاد الاسرائيلي لا تختلف عن أوضاع اخوانهم من أبناء الضفـة الغربية ، والمعاناة الاقتصادية لابناء قطاع غزة شبيهةبمعاناه أبناء الضفة ..

ثمة مسألة اضافية يعاني منها ابناء قطاع غزة ، هي ضآلة الموارد ، لذا تتجه اعداد غير قليلة من السكان نحو الدول العربية ، فتكتسي هذه الهجرة طابعا قسريا اذا ما اخذت بعين الاعتبار الظروف التي تضطرهم للنـــزوح ، والعمـل المستمر لسلطات الاحتلال كيما تتفاقم الاوضاع المعيشية ، ويتم تفريغ قطاع غزة من نسبة غير ضئيلة من اليد العاملة . اذ يبلغ المعدل الوسطي لعدد المهاجرين نحو ٥ الاف شخص سنويا .

فيما يتعلق بالاوضاع الاجتماعية للعـرب الفلسطينيين في قطاع غزة ، ثمة مؤشرات تفيد بأنها اكثر سوءا من باقي المناطق المحتلة ، فعلى صعيد الخدمات الطبية مثلا يذكر ان عدد الاطباء في قطاع غزة لا يتجاوز الخمسين طبيبا والكمية المخصصة من الادوية للمشافي والعيادات لا تفي بالحد الادنى، وهذا من شأنه ان يخلق ظروفا لا انسانية يتهدد فيها ابناء القطاع بزحف الامراض دون وجود امكانية للسيطرة عليها .

وبرغم تعقيدات الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، يلاحظ ان هناك اصرارا من ابناء قطاع غزة على التحصيل الدراسي .. فقد وصل عدد الذين يتابعون دراستهم حتى المرحلة الثانوية عام ٧٨ ، نحو ١٣٧٤٩٧ طالبا يتوزعون على النحو التالي ٩٠٥٢٣ طالبا في المرحلة الابتدائية ، و٣١٤٨٤ طالبا في المرحلة الاعدادية و ١٥٤٩٠ طالبا في المرحلة الثانوية .

ويقدر عدد الطلاب في الجامعة الاسلامية في غزة ، والمعاهد الملحقة بها ، ب ٢٦٨٠ طالبا خلال العام الدراسي الحالي ٨٢/٨٣ .

ويتعرض التعليم في قطاع غزة الى مضايقات وممارسات صهيونية شبيهة بتلك التي يتعرض لها ابناء الضفة الغربية.

كما ان هناك تقييدا على محاولات التوسع السكني في كافة المناطق المحتلة ، والمقصود من ذلك كله تحويل ابناء قطاع غزة ، الى كم مهمل غير قادر على التأثير ،تسيره المؤسسة الحاكمة في الكيان الصهيوني كما تشاء ..

لكن مسيرة النضال الوطني القومي لدى الجماهير العربية الفلسطينية هناك تعطي الدليل تلو الاخر على ان سياسة الاحتلال وصلت الى حالة الافلاس الكامل .. وتؤكد الجماهير الفلسطينية هذه الحقيقة عبر المجابهات اليومية ، وعبر اشتداد أوار الانتفاضة والصمود امام الهجمة الصهيونية، وعدم السماح للاحتلال بالنيل من اصرار الجماهير الفلسطينية على الاستمرار في تصعيدمختلف اشكال الكفاح .

الفصـــل السابــع

●● مسيرة النضال الفلسطيني بعد النكبــة

يشكل نضال شعب فلسطين سلسلة متصلة الحلقـات تمتد من العصور التي وقعت فيها البلاد فريسة الاستعمـار وحتى يومنا هذا ، حيث يعيش نحو مليون وثمانمائة عـربي فلسطيني تحت وطأة الاحتلال في كامل فلسطين المحتلة ، بينما يعيش زهاء ثلاثة ملايين عربي فلسطيني في المنفى الاجباري .

النضال الذي يخوضه شعب فلسطين ، سواء داخل الوطن المحتل للتخلص من الاحتلال ، أو خارجه للعـودة الى الوطن السليب ، يعد جزءا لا يتجزأ من نضالات أمتنا وحركة التحرر العربيـة ، ويكتسب خصوصية ترجع الى طبيعـة الاحتلال وطبيعة القضية التي يسعى اليها هذا الشعب والامة العربيـة لنصرتها ، في مواجهة أشرس هجمة استعماريـة يشهدها العصر الحديث ، تستهدف الغاء شعب فلسطين وطمس هويته الوطنية والقومية في المقام الأول .

ولاعتبارات بحثية بشـكل أساسي ، سنتناول هـذه الدراسة النضال داخل فلسطين المحتلة بشكل مستقل نسبيا عن النضال الفلسطيني خارجها ، مع أن هذه الاستقلالية ــ اذا جازا استخدامها ــ غير واردة على أرض الواقـع ، اذ يشكل العمل الفلسطيني كلا غير قابل للتجزئة ..

● أولا ، النضال الفلسطيني داخل الوطن المحتـل :

مايجري الانمن نهوض وطني داخل الاراضيالفلسطينية

المحتلة جميعها ، هو دون شك امتداد للعمل الوطني الفلسطيني والقومي العربي الذي سبق النكبة ..

وتستوقفنا ونحن نتطرق الى ذلك ، أشكال المقاومة الفلسطينية والعربية أثناء حرب فلسطين قبيل وخلال عام ٤٨ .. ففي تلك الفترة تجسدت أواصر العلاقات بين شعب فلسطين والامة العربية بصور عديدة كان منها ظهور تحركات رسمية وجماهيرية على المستويات التالية :

- قوات الجهاد المقدس التي خضعت لقيادة واشراف الهيئة العربية العليا .
- جيش الانقاذ الذي تكون من المتطوعين العرب باشراف وقيادة أشخاص تابعين للجامعة العربية .
- الجيوش العربية النظامية التي دخلت لتحارب في فلسطين من أجل منع قيام « دولة اسرائيل » .

قبل ايار ١٩٤٨ بشهور معدودة ، وعلى أثر اعلان قرار التقسيم رقم ١٨١ عام ١٩٤٧ ، لاح في الافق تسارع اقتراب المصير الاسود الذي كان ينتظر عرب فلسطين ، فنشطت اللجان العربية في فلسطين لجمع الاموال وشراء السلاح ، ولعبت جامعة الدول العربية دورا مهما في تدريب وتعبئة المتطوعين ، وساهمت سورية بقدر بالغ من مسؤولية التدريب والاعداد والتجهيز ، من أجل تكوين قوات عسكرية شبه نظامية ، في هذه الاونة عينت الهيئة العربية العليا ـ التي كانت قد اشتركت في ثورة ١٩٣٦ ـ المناضل عبد القادر الحسيني قائدا لهذه القوات التي اطلق عليها اسم « قوات الجهاد المقدس » ..

على مدار النصف الاول من عام ١٩٤٨ نفذت هـذه القوات العديد من العمليات البطولية ، وخاضت معارك في كثير من المناطق الفلسطينية ، أهمها معركة القسطل بين ٤و٨ نيسان ١٩٤٨ - التي استشهد فيها المناضل عبد القادر الحسيني - ومعركة القدس التي سيطرت فيها على الحي اليهودي في المدينة .

وبرغم ضآلة امكانياتها ، استطاعت قوات الجهاد المقدس أن تقوم بدور فعال في التصدي للعصابات الصهيونية ، الى أن صدر عن الهيئة العربية العليافيالقاهرة بتاريخ١٥/٨/٤٨ قرار يقضي بحلها ، فتوقفت عن العمل .

عمل قوات الجهاد المقدس تزامن مع دخول متطوعين من الجيوش العربية الى فلسطين تحت اسم « جيش الانقاذ » الذي تألف من ثمانيةأفواج هي : اليرموك - الاول والثاني والثالث - والقادسية ، وحطين ، واجنادين ، والعراق ، وجبل العرب .

قام هذا « الجيش » بدعم الحاميات الفلسطينية وتعزيز مواقعها ، كما نفذ عمليات متعددة على خطوط العدو ومستعمراته .. وقبل دخول الجيوش العربية النظامية الى فلسطين في منتصف ايار ٤٨ ، استطاع جيش الانقاذ ان يوجه ضرباب قوية لقوات العدو في القطاع الاوسط ، ولعب المجاهد فوزي القاوقجي دورا بارزا في قيادة هذا الجيش حتى ذلك التاريخ .

وتحت ضغط الرأي العام العربي تدخلت الحكومات العربية انذاك عسكريا ، فزحفت الجيوش العربية الى فلسطين بعد أن بدأت الاوضاع بالتدهور ، مشيرة الى أن

قيام « اسرائيل » أصبح أمرا واقعا ، واتضح يومها ان القوى المعادية كانت ـ بفضل الدعم المادي والمعنوي الذي تلقته من بريطانيـــة والدول الاستعمارية ـ على مستوى من القـــدرة بحيث الحقت الهزيمة بالجيوش العربيـــة ، وانشاء كيـــان عنصري صهيوني فوق أرض فلسطين العربيـــة ..

منذ ذلك التاريخ وحتى الان ، لم تهدأ حركة الكفاح الشعبي الفلسطيني على طريق اسقاط الاهداف التي انشئت « اسرائيل » من أجل تحقيقها .. وعبرت هذه الحركة عـــن ذاتها بعيد النكبة بظهور أشكال من النضال الجماهيري وطنية الهويـــة ، قومية المضمون ، انسانية الابعاد ، فكان ان نشأت داخل الوطن المحتل اللجان والروابط والجمعيات لا سيما في صفوف المثقفين وضعت نصب عينها مهمة رفد الاتجـــاهات الوطنية والقومية بمزيد من القوة ومزيد من العمق ، وكانت القنوات الثقافية والادبية والاجتماعية من أهم وسائل تطوير الوعي في صفوف الجماهير الفلسطينيـــة .

ومع أن فلسطين المحتلة لم تشهد في وقت مبكر ظهور حزب عربي أو حركة عربيـــة تقود نضال الشعب الفلسطيني بسبب ظروف النكبة ، والاحتلال ، والتمزق الذي عـــانى منه هذا الشعب ، ومحاربة السلطات الصهيونية لاي مظهر منظم ومتجسد من مظاهر الانتماء القومي العربي ـ ، الا أن شعب فلسطين تمكن وبعد فترة وجيزة من النكبة تجاوز العديد من العقبات التي وضعها الاحتلال في طريق الحفاظ على تشكله الوطني المتماسك .

واعتبر عام ١٩٥٧ بداية انعطاف وطني ـ قومي لجهـــة

بروز حركة شعبية عربيـــة منظمة اطلق عليها اسم « الجبهة العربيـــة » .

فقد تمخضت الاجتماعــات المتفرقــة التي عقــدتها الشخصيات الوطنية قبل ذلك التاريخ ، وكذلك مشـــاعر الارتباط بالقومية العربيـــة التي توجت باحتفال الجماهير العربيـــة الفلسطينية في عيد العمال العالمي في العام ١٩٥٧ ، عن ولادة حاجـــة ملحة لتشكيل « جبهـــة عربيـــة » تضم في صفوفها الوطنيين والقوميين وتوجه نضالات شعب فلسطين في الداخل .. وهكذا كان .

تداعت جموع المثقفين والمناضلين أنذاك الى عقد المؤتمر التأسيسي للجبهة في مدينة الناصرة ، وجرى في هذا المؤتمر انتخاب « لجنة تنفيذية » تكونت من عناصر تمتلك تجربـــة نضالية وتاريخا وطنيا ناصعا ، وتقرر ان يكون مركز هـــذه الجبهة مدينـــة حيفا .

ومما تضمنه البيان الصادر عن هذا المؤتمر ، مطالبـــة « اسرائيل » بتأمين حقوق العرب الفلسطينيين المشروعـــة في اعادة المهجرين العرب الى قراهم ، ووقف الاستيلاء على الاراضي مع اعادة الاراضي التي سلبت الى أصحابها .. كما تضمن البيان الدعوة الى استعمال اللغة العربيـــة في كافة الدوائر الرسمية ورفع الاضطهاد القومي والتمييز العنصري عن العرب ، والغاء الحكم العسكري وسياسة التعسف الصهيونية المطبقة بحق عرب الوطن المحتل .

لكن السلطات الصهيونية ، رأت في مثل هذه الامـــور ولادة مأزق حقيقي يعترض مخططاتها بتذويب ودمـــج العرب

في الكيان الصهيوني ، فاعتبرت الصفة العربية للجبهة صفة « عنصرية » الامر الذي يحظر عليها أن تسجل بها ، فتم تسجيلها باسم « الجبهة الشعبية » ..

شهدت الجبهة في الشهور الاولى من مسيرتها تنازعا بين تيارين فيها ، التيار الاول قومي عربي ، والتيار الثاني شيوعي .. ونجم عن تفاقم هذا التنازع انفصال القوميين عن الجبهة ، وأقدموا على تشكيل « حركة الارض » التي تعد أول حركة جماهيرية عربية في الوطن المحتل .. وقد وضعت هذه الحركة في مقدمة أهدافها ضرورة اعادة المشردين العرب الى اراضيهم والاعتراف بحركة القومية العربية كحركة تحرر وطني وقوة مقررة ، والدعوة الى الاعتراف بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني .

ناضلت حركة الارض بشكل متواصل ودؤوب في الفترة الممتدة من عام ١٩٥٨ الى ١٩٦٤ ، واسهمت في شحن الاتجاهات القومية وارساء التقاليد النضالية الثورية التي وصلت الى مستوى تنفيذ عدد من العمليات العسكرية في السنوات الاولى من الستينات ، وكان ذلك أحد الاسباب التي جعلت السلطات الصهيونية تلاحق أعضاءها وتقدم على انهاء الحركة تنظيميا ، بعد ان تمكنت الحركة طوال سبع سنوات من نضالها من تهيئة الظروف للتحولات الثورية اللاحقة .

لم تنه حركة الارض كاتجاه وحتى كأنشطة برغم القرار الصهيوني الرسمي القاضي بالغائها ، فانطلق أعضاؤها في

مختلف المناطق الفلسطينية يشتركون في تأسيس وتقوية النوادي الثقافية والكشافة .. النوادي التي تعرضت بدورها على أيدي السلطات الى الحصار والمضايقات والتعسف في مسعى مكشوف لتحويل الجماهير الفلسطينية نحو الحركات والجمعيات والاندية التي أوجدتها السلطات والتي تحمل طابعا سياسيا فكريا يبتغي امتصاص التوجهات الوطنية والشعور بالانتماء القومي العربي .

ومما يذكر في هذا السياق ، انه سمح للعرب بمزاولة أنشطتهم الفكرية ، والسياسية المحدودة عبر القناة الشيوعية ، اذ اعتقدت السلطات الصهيونية ان ذلك كفيلا بجعل النضال المطلبي والطبقي يطغي على النضال القومي ويلغيه ..

بيد أن عرب الوطن المحتل استطاعوا احداث توازن حقيقي بين النضالين الطبقي والقومي . ففي الوقت الذي ناضل فيه العرب من أجل الغاء الاستغلال عن كاهلهم وتحقيق التكافؤ في الفرص ، كانوا أيضا يناضلون من أجل الغاء كل مظاهر التمييز العنصري ضدهم ، وتأكيد الهوية القومية المستقلة للشعب العربي الفلسطيني وضرورة تأمين حقوق هذا الشعب فوق ترابه الوطني .

وقد انعكس هذا النضال في صور عدة ، كان منها ايصال الشخصيات الوطنية ـ القومية بالانتخاب الى قيادات الهيئات والمجالس واللجان الشعبية .

وشهد منتصف العام ١٩٧٥ ولادة لجان الدفاع عن الارض العربية على أيدي المؤسسات والشخصيات الوطنية ،

وتم لاول مرة في ١٨/١٠/٧٥ انتخاب لجنة الدفاع عن الاراضي في الناصرة العربيـــة .

ومع تزايد عمليات مصادرة الاراضي التي كانت تقوم بها سلطات الاحتلال ، ظهرت في كافة أرجاء الوطن المحتـــل لجان شعبيـــة مماثلة ، دعت باستمرار الى اصدار البيانات ضد أعمال المصادرة والقيام باضرابات عامة ومسيرات شعبية وتقديم مذكرات الاحتجاج الى المنظمات الدوليـــة .

وكان الثلاثون من اذار ١٩٧٦ بمثابة ذروة للنهـــوض الوطني حتى ذلك الوقت ، اذ هبت الجماهير العربيـــة في الوطن المحتل دفاعا عن الارض ، اثبتت فيه بالاضراب الشامل والمظاهرات والمسيرات والتصدي بالوسائل المتاحة عن تمسكها بأرضها وكيانها وحقها في الوجود ، مطالبة بوقف مخططـــات الاستيلاء على الاراضي ، والتسليم بالحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني في وطنـــه .

لقـــد أحـــدث يوم الارض شرخـــا كبيرا في نمط تفكير المؤسسة الحاكمة في الكيان الصهيوني ازاء العرب ، ورأت فيه الاوساط الصهيونية تحديا يواجـــه « اسرائيل » وينسف مرتكزاتها الدعاوية الرامية الى ابتلاع العرب في الوطن المحتل بعد ابتـــلاع أرضهم ، فعقدت ندوات ، وألقيت محاضرات شارك فيها العديد من المسؤلين والمهتمين الصهاينة لدراسة هذه الظاهرة ومحاولة تفريغها من محتواها وتطويقها تمهيـــدا لقتلها في نهايـــة المطاف .

الا أن السنوات اللاحقة أثبتت من خلال تجديد يـــوم الارض كل عام ، أن هذا اليوم أصبح محطة نضاليـــة تجـــدد

فيها الجماهير الفلسطينية العهد على المضي في طريق الحرية والاستقلال .

في هذه الاثناء كانت الحركات الوطنية الفلسطينيةالمتعددة تشق طريقها وتتشكل بين صفوف الشعب الفلسطيني مجددة الطابع السياسي لتشكلها ، وموضحة انها امتدادات لكل الحركات الوطنية ـ القومية التي ظهرت منذ العام ١٩٤٨ .. والى الان لاتزال عدة تنظيمات سياسية عربية تزاول أنشطتها في كافة المناطق الفلسطينية ، أهمها حركة أبناء البلد والحركة الوطنية التقدمية وحركة النهضة وحركة المثقفين العرب وتنظيم الصوت .. الخ .

وتلتف هذه التنظيمات حول منطلقات فكرية ـ سياسية واضحة تتماثل مع منطلقات منظمة التحرير الفلسطينية ، وترى في المنظمة الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

ومع ضرورة تكريس الوحدة الوطنية ، وفي سبيل خلق علاقات تعاون وتنسيق بين مختلف هذه الحركات ، تم في أوائل العام ١٩٨١ تشكيل « لجنة التنسيق الوطني » التي لم تدم أكثر من شهرين حيث أصدرت السلطات الصهيونية قرارا بحظر نشاطها . وبالرغم من هذا الحظر ، فقد أستمرت التنظيمات السياسية العربية في ممارسة نشاطاتها متحدية بذلك سياسة الاحتلال ، وواصلت رفد تيارات النضال الوطنية مجددة الابعاد التحررية والسياسية لقضية الشعب العربي الفلسطيني ..

ان مثل هذا الدور للحركات والتنظيمات العربية ، وضع الصهاينة وجها لوجه أمام معضلة مستحيلة الحل ،

تتلخص بعدم قدرة المشروع الصهيوني على صهر المواطنية القومية العربية فيبوتقة التجمع الاستيطاني الصهيوني ، ولم تستطع كل أساليب العدو بحرف النضال الفلسطيني عن مساره من ابعاد الجماهير الفلسطينية عن عملية التفافها حول منظمة التحرير الفلسطينية والايمان بوحدانية تمثيلها للشعب العربي الفلسطيني داخل الوطن المحتل وخارجه .

لقد تعددت الاجتماعات والمؤتمرات التي نظمتها الجاهير الفلسطينية وخاصة في مناطق الشمال الفلسطيني ، مؤكدة ان العرب في أراضي إل ٤٨ هم جزء لايتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني والامة العربية ، وان أي حل لقضية فلسطين لا يضمن حصول هذا الشعب على كامل حقوقه ، انما هو حل محكوم بالفشل .

ان الجماهير الفلسطينية داخل الوطن المحتل ، وهي تخوض نضالاتها الوطنية القومية ، انما تنطلق من مسلمة أساسية هي انها تعيش تحت ظل الاحتلال ، وان المؤسسة القائمة في الكيان الصهيوني تمثل نقيضا معاديا ، باعتبارها تعتمد صيغة احلال مجموعات بشرية غريبة محل السكان العرب الاصليين ..

من هنا يتبين ان محرك النضال الفلسطيني لا يقتصر في أسبابه على ما يقوم به الاحتلال من ممارسات عنصرية ضد العرب ، وانما يرجع في جذوره الى رؤية مبدئية ثابتة تستلهم حركة الصراع بين القومية العربية وبين الدعاوى الصهيونية ، الحركة التي لا يمكن ان تصل ذات يوم الى نقطة التوقف طالما ان هناك صهيونية تسعى لفرض ذاتها في المنطقة العربية .

اننا ونحن نسلط الضوء على ابعاد النهوض الوطني القومي ، لا بد من أن نسجل لهذا النهوض صفة الديمومة والاستمرارية والوضوح على الصعيدين النظري والممارساتي ويتجلى ذلك بـ :

★ الوقوف في وجه كل محاولات الصهينة للارض والانسان العربي في فلسطين المحتلة ، والاصرار على ابراز قضية فلسطين بجزئها الرئيسي أي قضية فلسطينيي الـ ٤٨ داخل فلسطين وخارجها .

★ عدم الركون الى العفوية في توجيه النضالات الفلسطينية ، والقيام بعملية تنظيم هذه النضالات وتأطيرها وتحديد مضمونها الفكري والسياسي المنهجي ضمن معرفة تامة لما هو مرحلي وما هو استراتيجي .

★ العمل باستمرار على جعل النهوض الوطني الفلسطيني في موقع الفعل والتأثير والابتعاد عن مواقف تفريغ الشحنات الوطنية القومية ، وما يعني ذلك من السعي المتواصل الدؤوب لجعل التراكمات العدائية غير مرهونة بموقف أو آخر تتخذه سلطات الاحتلال .

★ مد الجسور النضالية بين عرب فلسطين في أراضي الـ ٤٨ وبين عرب فلسطين في أراضي الـ ٦٧ ، والعرب الفلسطينيون في المنفى ، وترسيخ معطى أن المطالبة بحق تقرير المصير تعني حق كل فلسطيني اينما وجد في ذلك .

★ خلق حالة من التوازن بين النضالات الطبقية والمطلبية وبين النضالات الوطنية القومية ، بحيث ترتبط عملية المطالبة بتحقيق العدالة وبرغيف الخبز بالمطالبة بالحريات السياسية والديمقراطية .. الخ .

.. ان هذه السمات التي تطبع كفاح الشعب العربي الفلسطيني داخل الوطن المحتل ، لهي تأكيد على عمق واتساع مضمون هذا الكفاح ومبدئيته .

والخلاصة ان الجماهير الفلسطينية التي خبرت أساليب نضالاتها وخبرت سياسة الاحتلال في المقابل ، لتدرك تماما أنها في مواجهة احتلال يفوق في شراسته كل أشكال الاستعمار ، لابد أن تبني صرح حريتها لبنة لبنة ، تاركة لمسار النضال أن يشق طريقه بقوة متزايدة ليصل في النهاية الى مرحلة الاندلاع النهائي للثورة ، مستفيدا من الظروف المحلية والعربية والدولية لفرض الارادة العربية في التحرر وبناء الكيان العربي الفلسطيني المستقل .. وهو أمر اذا كان يبدو الان صعب المنال ، الا انه ليس مستحيلا على أي حال .

... وكما في فلسطين المحتلة ٤٨ ، خاض الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة عام ٦٧ معركة القرار الوطني والتخلص من الاحتلال ، وشاركت مختلف الشرائح الاجتماعية في الانتفاضات الجماهيرية ضد السلطات الصهيونية .

وطوال السنوات الممتدة منذ عام ٦٧ وحتى اللحظة ، كانت المؤامرات والمشاريع الصهيونية الرامية الى ابتلاع الضفة الغربية وقطاع غزة تقابل بمزيد من التمسك والاصرار

على الاستقلال والسيادة وتقرير المصير .. وقامت منظمة التحرير الفلسطينية في الداخل بشحذ وتوجيه الطاقات النضالية بين صفوف الشعب الفلسطيني ، واستقطبت الالتزام الجماهيري بها وغدا تمثيلها للشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة — مثلما في المنفى — بلا منازع .

.. الحدث الهام في العمل السياسي المنظم داخل الضفة الغربية وقطاع غزة كان ظهور « الجبهة الوطنية الفلسطينية » التي تعتبر قناة أو لنقل رديفا لمنظمة التحرير اذ جاءت هذه الجبهة ثمرة نضالات الجماهير الفلسطينية التي اتخذت مع بدايات الاحتلال أشكال لجان التوجيه الوطني .

وبميلاد الجبهة طرأ على هذه النضالات انعطاف في مسار النهوض الوطني الفلسطيني ، اذ استوعبت هذه الجبهة كافة الاتجاهات السياسية والعقائدية عبر مشاركة أوسع القطاعات الشعبية والمهنية والنقابية ..

ومع ان السلطات الصهيونية ، وبعد أن هالها هذا التطور النوعي ، أقدمت على حظر نشاط الجبهة الوطنية الفلسطينية ولاحقت أعضاءها ، الا أن الجبهة تمكنت من ارساء دعائم الاتجاهات الوطنية الرافضة للدمج والاحتلال أو الوصاية والالحاق ..

وجاءت الانتخابات البلدية في الاراضي الفلسطينية المحتلة عام ٦٧ لتؤكد مدى التزام الجماهير الفلسطينية بالمبادىء النضالية لمنظمة التحرير ، اذ أوصلت هذه الجماهير بارادة وطنية خالصة شخصيات الى رئاسة البلديات

معروفة بعراقة تاريخها النضالي وبتأييدها لمنظمة التحرير الفلسطينية ..

وخلال الاعوام الماضية كانت هذه الشخصيات تعلن وتمارس التزامها بالميثاق الوطني الفلسطيني وبأهداف المنظمة ، وهذا مادفع سلطات العدو لان تتخذ موقفا عدائيا منها ومنذ اليوم الاول الذي تسلمت فيه مهامها وصلاحياتها في تسيير شؤون البلديات .

.. في أعقاب زيارة السادات للقدس المحتلة عام ١٩٧٧ اتخذت الجماهير الفلسطينية موقفا حازما من النهج الاستسلامي للنظام المصري ورفضت الاضطلاع بالمشاركة في « الحكم الاداري الذاتي » الوارد في اتفاقيات كامب ديفيد عام ٧٨ ..

ولم تستطع الجهود الاسرائيلية ـ الامريكية ـ المصرية المشتركة خلق أية جهة تتعاون مع مشروع الحكم الذاتي المؤامرة وذلك على مدى السنوات الخمس الاخيرة ، باعتبار أن هذا المشروع لا يتعلق بممارسة الشعب الفلسطيني للسيادة على الارض، وباعتباره جزءا لايتجزأ من استراتيجية الحركة الصهيونية الساعية الى طمس قضية فلسطين وتذويب الشخصية العربية الفلسطينية وقضم أراضي الضفة والقطاع اضافة الى الاراضي الفلسطينية الاخرى .

.. أمام الموقف المبدئي الفلسطيني الرافض لهذا المشروع المؤامرة ، حاولت السلطات الصهيونية الالتفاف على حركة النضال الفلسطيني ، واحداث تصدعات في علاقة

الشعب الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة بممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية فعملت السلطات الصهيونية على ايجاد قيادات بديلة للقيادات المنتخبة والمؤيدة للمنظمة .. وكان أن أعلن وزير الحرب الصهيوني اريئيل شارون عن نيته بانتهاج ماوصفه « سياسة ليبرالية جديدة » في أوائل تموز ١٩٨١ في محاولة لتشجيع عناصر معينة على المشاركة في مشروع الحكم الاداري الذاتي .

بيد أن الشعب الفلسطيني أدرك على الفور كنه اللعبة، واعتبرها احدى مناورات تجميل وجه الاحتلال ، وأعلنت الشخصيات الوطنية أنه ينبغي على الصهاينة أن يدركوا أن الفلسطينيين لا يريدون حتى ما تعلنه السلطات عن تحسين مصيرهم ، وانما يسعون لانجاز هدف ثابت أشمل هو أن يكونوا أحرارا مستقلين .

لقد كان الرفض الفلسطيني الكل المؤامرات والمشاريع المشبوهة يعبر عن نفسه في هذا المد الجماهيري العارم ، بالاضرابات والمظاهرات والندوات والاجتماعات الحاشدة ، وكذلك في المقاومة المادية عبر استخدام الوسائل البدائية الموجودة بحوزة السكان ، وأصبح «الحجر وزجاج المولوتوف» الوسيلة الرمز لهذه المقاومة .

وقد أكدت كافة الهيئات الجماهيرية والانتفاضة المستمرة للشعب الفلسطيني في الوطن المحتل على عمق النضج السياسي والوطني القادر على عملية الفرز والتمييز بين الحلول التضليلية المشبوهة وبين المطالب الوطنية القومية الحقيقية .

وبنفس وتيرة المقاومة التي جوبهت بها مؤامرة الحكم الذاتي ، لاقت « روابط القرى » العميلة التي أنشأتها سلطات الاحتلال لتساعدها في السيطرة على المناطق المحتلة ، مواجهة شعبية عنيفة .

.. ما يسترعي الانتباه في هذا السياق أن الانتفاضة الشعبية المستمرة كانت ولا تزال بمثابة حرب حقيقية تبتعد عن كونها مجرد رد فعل على سياسة سلطات الاحتلال، لتثبت من خلالها الجماهير الفلسطينية أنها تنطلق من موقف مبدئي وطني لا يرضى بديلا عن الاستقلال وعن الحصول على الحق الفلسطيني وبناء الدولة المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

ولقد كان الرد الصهيوني على هذا التحدي أن أقدمت سلطات العدو على حل المجالس البلدية واحدا بعد الاخر ، بوهم لجم النهوض الوطني وفرض الحلول التي تنسجم ومخططات الاحتلال ..

الا أن الجماهير الفلسطينية أكدت باستمرار أنها لن تتخلى ، برغم كل أشكال القهر ، عن قرارها في التصدي بحزم لاي مشروع أو حل لا يلبي طموحات الشعب العربي الفلسطيني في بناء دولته المستقلة وتقرير مصيره فوق ترابه الوطني .

● ثانيا ، النضال الفلسطيني خارج الوطن المحتل :

.. من المعروف أن الدول العربية وقعت اتفاقيات

للهدنة مع « اسرائيل » عام ٤٩ ، وتوقفت الاعمال العسكرية بعد أن تمكنت العصابات الصهيونية من الاستيلاء على أكثر من ٨٠٪ من مجموع مساحة فلسطين الكلية ، وترتب على ذلك تهجير اكثر من مليون عربي فلسطيني الى الدول العربية المجاورة .. وبرغم أن « اسرائيل » تعهدت في اتفاق لوزان في ٤٩/٥/١٢ بعودة العرب الفلسطينيين الى ديارهم وتعويضهم طبقا لقرار الامم المتحدة رقم ١٩٤ تاريخ ٤٨/١٢/١١ ، الا أن « اسرائيل » راحت تماطل في ذلك .. وأصبحت القضية الفلسطينية في غضون السنوات التي أعقبت النكبة تندرج تحت بند « مشكلة اللاجئين » لدى مناقشتها في الامم المتحدة .

.. الدول العربية حاولت منذ بدايات الخمسينات التصدي لمعالجة الجوانب المتعلقة بالقضية الفلسطينية وانعكاساتها ومستلزمات نصرتها ، في كافة الميادين .

ـــ فعلى الصعيد السياسي عرضت جامعة الدول العربية على المنضمين اليها خطة كاملة ومفصلة يتم بموجبها التزام عربي كامل بقضية فلسطين .

ـــ وعلى الصعيد الاقتصادي ، تم وضع اتفاقيات للوحدة الاقتصادية العربية وظهرت الى الوجود فكرة « السوق العربية المشتركة » كخطوة لتدعيم الوحدة العربية باعتبارها أحد الاساليب الرئيسية في القضاء على الاستعمار الاستيطاني في فلسطين .

ـــ وعلى الصعيد العسكري ، أبرمت بين معظم الانظمة العربية اتفاقيات للدفاع المشترك لدعم دور الجيوش العربية مستقبلا .

— وعلى الصعيدين الثقافي والاجتماعي ، جرى تعاون وتنسيق وتقارب بين المناهج الثقافية العربية في كافة أقطار الوطن العربي ، ووجهت الثقافة وفق اتجاه عام مناهض للصهيونية ، ونمت الى حد كبير عملية التقارب الفكري والسياسي بين أبناء الشعب العربي في مختلف الاقطار العربية .

.. وهكذا فان تقييما منصفا لدور الجامعة العربية لابد أن يتناول ما قامت به الجامعة في مجال توحيدالصفوف للحيلولة دون تصفية القضية الفلسطينية .

ومنذ أوائل الخمسينات أخذت الحركات الثورية العربية تنمو محللة الواقع العربي ومشخصة الظواهر المرضية فيه ، التجزئة ، الاستعمار ، التخلف ، الدور التخريبي للانظمة الرجعية واليمينية العربية .. الخ ، وشهدت الفترة الممتدة بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٦٣ تفجر ثلاث ثورات تحررية قومية ، كانت الاولى ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في القطر المصري أطاحت بنظام الملك فاروق ، والثانية ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق أطاحت بحكم نوري السعيد ، والثالثة ثورة ٨ اذار ١٩٦٣ في سورية قضت على حكم الانفصال واستلم فيها مقاليد القيادة والسلطة حزب البعث العربي الاشتراكي .

خلال هذه الفترة ، كان العمل الفلسطيني يرتبط بشكل عضوي ومصيري بالعمل العربي العام ، فكان أي عمل من أجل تحرير فلسطين يجيء من خلال الدول العربية ، وظهرت الدعوة لاقامة الدولة العربية الواحدة أي ارتبط النضال من أجل تحرير الارض الفلسطينية بالنضال من أجل الوحدة العربية .

ومنذ أواسط الستينات شهدت القضية الفلسطينية جملة تطورات على الصعيدين الوطني والقومي ، وكان مؤتمر القمة العربي الاول في كانون الثاني عام ١٩٦٤ بداية تحرك جاذ تجاوز الرد على التحدي الصهيوني بتحويل مياه نهر الاردن الى التصدي لمهام أشمل وأكثر أهمية .. فأصدر هذا المؤتمر قرارات عديدة أهمها :

آ ـ توحيد الجيوش العربية وانشاء قيادة عربية مشتركة.

ب ـ بعث الكيان الفلسطيني واشراك شعب فلسطين في مسؤولية الدفاع عن بلاده وتكليف السيد أحمد الشقيري بالاتصال بالشعب الفلسطيني في سبيل اقامة هذا الكيان . وتم على اثر ذلك عقد المؤتمر الفلسطيني الاول بتاريخ ٢٨/٥/٦٤ في القدس بحضور ٤٠٠ ممثل عن الشعب الفلسطيني ، حضره عدد كبير من ممثلي الرؤساء والملوك العرب ، وصدر عن هذا المؤتمر :

ـ اعلان الميثاق الفلسطيني .

ـ اعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية .

ـ تأسيس الصندوق القومي الفلسطيني ومطالبة شعب فلسطين والامة العربية بتمويله .

ـ تكوين جيش التحرير الفلسطيني .

في ٥ أيلول سنة ١٩٦٤ ، عقد مؤتمر القمة العربي الثاني ، ورحب مجلسه بقيام منظمة التحرير الفلسطينية واعتمد قرارها بانشاء جيش التحرير الفلسطيني ، وحدد التزام

العمل الفلسطيني العسكري ، اذ تمكنت قوات الثـــورة الفلسطينية والقوات الحليفة آنذاك من التصدي لقوات العدو وأجبرتها على التراجع عن تنفيذ مخططها الهادف الى ضرب البنية التحتية لقوات الثورة التي كانت في بدايات تشكلها ..

ومما يذكر هنا ان القطر العربي السوري ، ومنذ ولادة الثورة الفلسطينية ، قدم كل أشكال الدعم ، والتسهيلات ، للعمل الفدائي واستمر هذا الامر في السنوات اللاحقة .

كان الخيار الفلسطيني ، لاعتبارات متعددة جغرافية وبشرية .. الخ ، يقضي بتمركز قوات الثورة الفلسطينية على أراضي شرقي الاردن .

في المقابل كان العدو يعيش حالة قلق حقيقي من تعاظم قوى الثورة الفلسطينية لكونها النفي للمشروع الصهيوني ، وهو مادفع العدو لتكثيف جهوده من أجل اجتثاث قوة التأثير الفلسطينية ، فاعتبر ان هذا الامر يمكن أن يترافق مـع محاولة ضرب الثورة من قبل النظام الاردني .

ونجح العدو في التمهيد لمذابح ايلـول في الاردن عام ١٩٧٠ ، وتمكن النظام وبالتنسيق مع الولايات المتحدة مـن شل القاعدة العسكرية للثورة على الساحة الاردنية ، مما أدى الى خروج المقاومة عسكرياً من هذه الساحة بشكل شبه تام في عام ١٩٧١ . وأصبح جنوب لبنان مركز الثقل الجديد في العمل الفلسطيني المسلح ، حيث اعتبرت هـذه المنطقة الاساس العملياتي الواجب توفره لخوض الكفـاح المسلح داخل حدود فلسطين المحتلة عام ٤٨ ، وساهمت طبيعة الوضع الجغرافي في هذه المنطقة المتاخمة لفلسطين بتوفير الظروف الملائمة لانجاح حرب العصـابات ونجاعة

التهديد العسكري الفلسطيني المستمر للقوات الصهيونية في الجليل والمنطقة الشمالية من فلسطين المحتلة .

في سنوات السبعينات ، شهدت قوات الثورة الفلسطينية تطوراً كبيرا تناول الامكانات العسكرية، ومواصلة العمليات من الجنوب ، وأساليب القتال، الى درجة أصبحت هذه القوات تشكل عقبة كبيرة في وجه استقرار الكيان الصهيوني وبالرغم من كل المؤامرات التي حيكت خلال تلك الاعوام ، سواء بشكل مباشر أو عن طريق الادوات العميلة التي حاولت الهاء الثورة واشغالها عن تأدية مهامها فقد ظل الوجود العسكري الفلسطيني فاعلا وحيويا ويثير مزيدا من الارتباك في أوساط العدو ، الامر الذي حدا بالعدو الى تنفيذ مخططه القاضي بابعاد (الخطر الفلسطيني) واحتلال شريط من الاراضي اللبنانية يحول دون ممارسة قوات الثورة لمهامها ، ويكون في نفس الوقت فصلا من مخطط التوسيع الصهيوني ، فشن العدو في آذار ١٩٧٨ هجوما عسكريا واسع النطاق اشترك فيه حوالي ٢٥ ألف جندي صهيوني، وتمكنت « اسرائيل » في النهاية من السيطرة على قطاع من الاراضي اللبنانية عرضه نحو ١٠ كم على امتداد الحدود الشمالية لفلسطين .. ومع هذا لم يتمكن العدو من احراز انتصار ساحق يقضي على القوات الفلسطينية ، وبالتالي ظل الخطر الذي يجسده وجود هذه القوات قائماً .

اتبع العدو فيما بعد أسلوباً جديداً يتمثل بمحاولة القضاء على القوة العسكرية للمقاومة كمقدمة لانهاء وجودها المادي، فقامت القوات الصهيونية بشن هجوم جوي وبحري، وقصفت المناطق التي تتواجد فيها قوات الثورة في تموز

١٩٨١ ، وكان الرد الفلسطيني المضاد يتمثل بقصف مركز للمستوطنات الصهيونية في المنطقة الشمالية ، وهكذا تكرر ما حدث في آذار ٧٨ من نقل للمعركة الى داخل حدود ما يستميه العدو (الخط الاخضر) .

بعد التوصل الى وقف اطلاق النار في تموز ١٩٨١ كانت كافة الدلائل تشير الى ان المرحلة اللاحقة هي مرحلة اعادة صياغة تؤهل كلا من الطرفين الفلسطيني والصهيوني الى استئناف العمل العسكري ، فمن جهة كان وقف اطلاق النار استثناء في مسيرة العمل العسكري الفلسطيني يجب ألا يطغى على قاعدة الاستمرار في الثورة ، ومن جهة العدو أيضا اعتبر ان حالة وقف اطلاق النار حالة طارئة تقوم « اسرائيل » بعدها بمثابة العمل للقضاء على قوات الثورة الفلسطينية ، كخطوة تمهيدية لابتلاع جزء من لبنان .

وتأكدت المقاومة الفلسطينية أن خرق قرار وقف اطلاق النار سيتم من قبل العدو ، وهذا بالتالي يمكن أن يحصنها ضد الاتهامات الاسرائيلية بأنها هي التي خرقت ما تم التوصل اليه .

ومنذ ذلك الحين ، راح العدو يخطط لعملية كبيرة تستهدف ليس فقط اخراج الثورة الفلسطينية من لبنان ، وإنما التحكم بشؤون هذا البلد وتعريض الشعبين الفلسطيني واللبناني لحرب ابادة حقيقية .. فقام العدو في حزيران ١٩٨٢ بتنفيذ اكبر عملية عسكرية عدوانية ضد لبنان والثورة الفلسطينية ، واتضح ان العدو يرمي من خلالها الى [illegible]

☆ حذف جزء كبير من عنصر التهديد المستمر للمشروع الصهيوني ، على المدى الاستراتيجي ، عبر ابادة الشعب

الفلسطيني المتواجد على أرض لبنان ، وتصفية الثورة الفلسطينية هناك .

★ اجبار لبنان على عقد صلح مع الكيان الصهيوني على غرار الصلح الساداتي ـ الصهيوني .

★ اخماد انتفاضة الارض المحتلة ، بعدما لوحظ ان هذه الانتفاضة بدأت تأخذ أبعادا جديدة تؤهلها لتغير موازين القوى في الجانب الفلسطيني ـ الاسرائيلي للصراع ، اذ تتصور « اسرائيل » انه بضربها المقاومة الفلسطينية في لبنان ستتمكن من طرح خيارها بقوة أيسر أي فرض « الحكم الاداري الذاتي » وتيئيس الجماهير الفلسطينية بعد ضرب العمود الفقري للثورة .

★ تنشيط الحلول التسووية والمبادرات التي يتمخض عنها الاعتراف بالعدو الصهيوني ..

★ ضرب صمود القطر العربي السوري وثورته بقيادة الرفيق المناضل حافظ الأسد ، والضغط باتجاه ادخال هذا القطر في معركة تحدد العدو مكانها وزمانها ، مستغلا حالة عدم تحقق التوازن الاستراتيجي الكامل ، ومستغلا الاوضاع العربية الصعبة والطاقات المبعثرة .

مثل هذه المرامي تبين انها تصب في سياق المخطط الامبريالي للهيمنة على المنطقة العربية برمتها ، رقعة بعد الأخرى ، ليصبح لبنان محمية اسرائيلية ـ أمريكية ونقطة انطلاق في تطبيق فصول المخطط الأخرى لابتلاع الوطن العربي .

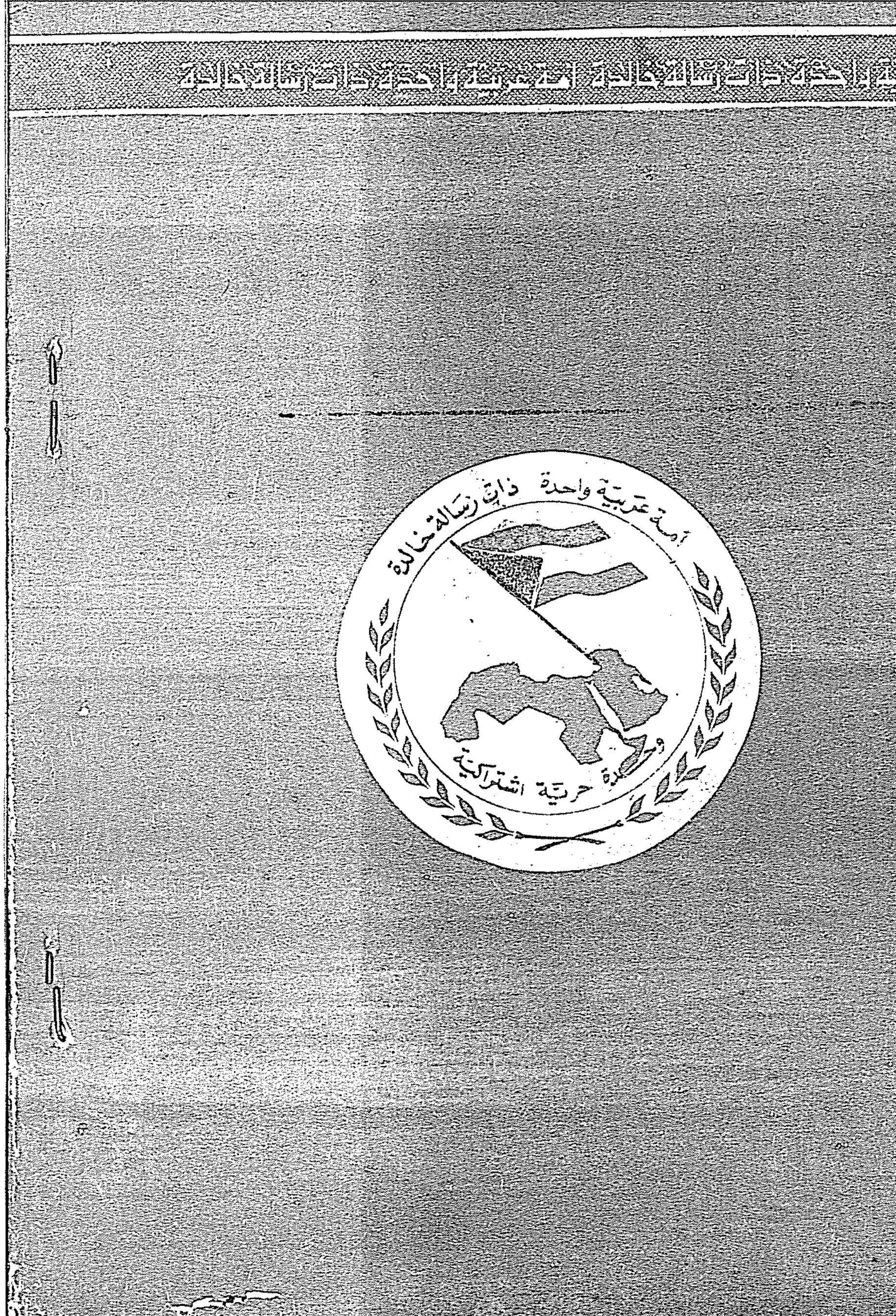
وبرغم كل ما جرى ابان الغزو الصهيوني للبنان ، لا بد من التأكيد على ان هذه المرحلة الصعبة ليست الا حالة عارضة ستتجاوزها الثورة الفلسطينية مستندة الى التلاحم

٩ ـ تاريخ فلسطين الحديث ، د . عبد الوهاب الكيالي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٩ (الطبعة السابعة) .
١٠ـ المقاومة العربية في فلسطين المحتلة ، ناجي علوش ، مركز الابحاث م.ت.ف ١٩٦٧ .
١١ـ وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني والصهيوني ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨ .
١٢ـ الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ، المجموعة الاولى ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ الامانة العامة لجامعة الدول العربية ادارة فلسطين (الشعبة السياسية) القاهرة ١٩٥٧ .
١٣ـ تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ف ـ لوتسكي ، موسكو ١٩٧١ .
١٤ـ القضية الفلسطينية ـ اكرم زعيتر دار المعارف بمصر ١٩٥٥ .
١٥ـ قضية فلسطين ـ نجيب صدقة دار الكتاب بيروت ١٩٤٦ .
١٦ـ محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ، د. أحمد طربين ، معهد الدراسات العربية العليا ، القاهرة ١٩٥٩ .
١٧ـ كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨ ، عبد القادر ياسين ، مركز الابحاث م.ت.ف ١٩٧٥ .
١٨ـ الحركة العمالية في فلسطين منذ عهد الانتداب البريطاني وحتى عام ١٩٨٠ ، أسعد صقر ، دار الجرمق ، دمشق ١٩٨٠ .
١٩ـ فلسطين وقضيتها منذ أقدم الازمنة حتى يومنا هذا ، م.ت.ف مكتب دمشق ١٩٦٥ .

٢٠ـ العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي ، حبيب قهوجي ، مركز الابحاث م.ت.ف ١٩٧٢ .
٢١ـ عرب فلسطين المحتلة : انتماء وصمود ، حبيب قهوجي ، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية دمشق ١٩٧٦ .
٢٢ـ العرب الفلسطينيون في اسرائيل ، حنن آهرون وآخران ترجمة أحمد الشهابي ، دار الكلمة للنشر بيروت ١٩٨١
٢٣ـ الطبقة العاملة الفلسطينية والحركة النقابية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، د. مصطفى جفال ، دار ابن خلدون بيروت ١٩٧٩ .
٢٤ـ السياسة الاسرائيلية في الارض المحتلة ، داغس أبو كشك ، منشورات دار الجليل ومنشورات الطلائع دمشق ١٩٨٠ .
٢٥ـ الجليل في مواجهة السياسة والوقائع الاسرائيلية ، القيادة القطرية الفلسطينية . سلسلة دراسات ٢٨ آب ١٩٨٢ .
٢٦ـ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ، أعوام مختلفة .
٢٧ـ جيش التحرير الفلسطيني نشأته وتطوره ، مركز الابحاث م.ت.ف ، للتوزيع الخاص والمحدود ، أيار ١٩٧٣ .
٢٩ـ الصهيونية والعنصرية بين الفكر والممارسة ، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية سلسلة دراسات رقم ٩ دمشق ١٩٨٠ .

٣٠ ـ النهوض الوطني الفلسطيني في الضفة وغزة والجليل سعيد جواد ، دار ابن خلدون بيروت ١٩٧٩ .

٣١ـ صالح برانسي النضال الصامت د . هشام شرابي ،
دار الطليعة ، بيروت ١٩٨١ .
٣٢ـ شؤون فلسطينية ، ع ١١٦ (ص ٧٩ ـ ٩٤) ع ١٢١
(ص ٦ ـ ٤٠) ، ع ١٢٢ (ص ٤٣ ـ ٥٦) و ع ٦
(ص ٦٠ مقال غسان كنفاني) .
٣٣ـ القضية .. أفاق جديدة ، محمود عباس (ابو مازن)
دار القدس بيروت ١٩٧٨ .
٣٤ـ مجلة الارض ، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية
عدد ١٤ تاريخ ١٩٨٢/٤/٧ .
٣٥ـ صحف عربية ، واسرائيلية (نشرة مؤسسة الدراسات
الفلسطينية ، اعداد متفرقة) .


أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة
أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة
وحدة حرية اشتراكية